



UNIVERSITE
Abdelhamid Ibn Badis
MOSTAGANEM

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم -

كلية علوم اجتماعية

قسم علم الاجتماع

شعبة فلسفة



UNIVERSITE
Abdelhamid Ibn Badis
MOSTAGANEM

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في الفلسفة

تخصص فلسفة عامة و تعليميتها نظام LMD

الموسومة بـ:

التاريخانية عند كارل بوبر

- إشراف الأستاذة:

د: بوصوار نجمة

إعداد الطالبتين:

- بخيري أسمهان

- بتقة كريمة

السنة الجامعية: 2016/2017.

تشكر و عرفان

الحمد لله الكريم المنان
ذو الفضل و الإحسان
الذي هدانا للإيمان
ومنى علينا بإرساله أكرم خلقه
و حسبه و خليه عبده و رسوله الكريم
نشكر الله عزوجل على نعمة الإسلام
و على العقل و العلم الذي به تحررنا من البهتان
نشكر الأستاذة المشرفة "بوصوار نجمة "
التي كان لها الفضل بمساندتها لنا و تسهيل
مهمتنا في إنجاز هذا العمل منذ البداية حتى
النهاية حيث أفادتنا بنصائحها و إرشاداتها
وتوجيهاتها القيمة فلها كامل الشكر و العرفان
كما لا يفوتنا أن نشكر كل من ساعدنا
في إنجاز هذا العمل وإلى كل من تتبعنا
من بداية هذا المشوار الدراسي
إلى نهايته وإلى كل أساتذة
و طلبة الفلسفة

اهداء

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله ومن والاه
الى التي كانت و لا تزال صلواتها تضيء لي الكون و تنير لي درب الحياة
الى نبع الحنان و سر الوجداني امي الغالية " سكينه " حفظها الله
الى من شق لي في الظلام ليبريني النور الى منبع الصبر و الحكمة
الى رمز الفخر و الاعتزاز والدي العزيز " بصافي " حفظه الله
و الى جدي و جدتي حفظهما الله
الى اختي و اخويا : فاطمة و لزرق
والى الكتكوت ابن اختي الصغير " ايهاب محمد امين" والى زوجها الاستاذ بوعلام
الى كل الاقارب عماتي و خلاتي ومن يحمل لقب بخيري
الى اعز صديقاتي "حياة " "حنان " كريمة" و الى "سويدي محمد" اعز شخص في الوجود
والداه حفظهما الله "محجوبة و عبدالله" والى أخواته صارة و فتيحة و اعز أخ في الوجود
حمزة والى كل عائلة سويدي
الى الاستاذة المشرفة كل التقدير و الاحترام " بوضوار نجمة"
واليكم الف و الف شكر و تقدير

الى كل من يعرف اسمهان

اسمهان

إهداء

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله ومن والاه

إلى من حملتني وتحملتني بكل عطف وحنان أمي الغالية "فاطمة"

إلى نور دربي و رفيق أفراحي و أحزاني أبي الغالي "أحمد"

إلأخواتي :إكرام ،فوزية مريم وفقهم الله في دراستهم

إلأخي العزيز "سفيان " حفظه الله و إلى كل حماة الوطن .

إلى كل عائلة "بتقة و زيتوني" صغيرا و كبيرا طالبة من المولى تسديد خطاهم وتوفيقهم.

إلى زوجي و رفيق دربي "صحراوي عبد القادر"والى كل عائلته و خصوصا الكتكوتة "ريحاب".

إلى صديقاتي :كريمة ،رشيدة ،أسمهان ،حنان و جميلة وكل من يكن الحب ل"بتقة كريمة"

واليكم مني تحية تقدير و شكر

كريمة

لا جدال فيأن الفلسفة عالمية و إنسانية بطبعها وخالصة للعقل و الجهد البشريين، ليسلها من سلطة غير سلطة العقل و البرهان، فكلامها هو عقلي هو فلسفي و إنساني عالمي.

لان الفلسفة تقول بالماهية، و بالمحتوى بالعقل و تمظهراته.فهي أيضا بحث في الحقيقة ونشدان للمعنى و تأسيس للتواصل و الحوار و اللقاء بين الحضارات و الثقافات، فمن بين وجهات النظر الشائعة في تبيان ماهيتها و ما وظيفتها و ما جدواها، هيتلك الوجهة من النظر التي يتبناها كثير من الفلاسفة المعاصرين، لاسيما التحليليين منهم التي تنظر لفلسفة بوصفها تحليلا للمقومات و الدعائم، التي تقوم عليها الحياة العقلية في العصر الذي توجد فيه الفلسفة بين ظهرانيه فإذا كانت تلك الدعائم دينية كالعصور الوسطى مثلا كانت مهمة الفلسفة تحليل الركائز التي يقوم عليها الدين و إثبات مقوماته بعبارة أخرى كانت مهمة الفلسفة هي فلسفة الأديان، وان كانت سياسية اجتماعية كانت مهمتها تحليل النظام السياسية.

وغني عن الذكر أن عصرنا هذا يحتل العلم مكان السبق من واجهته العقلية والفكرية والثقافية، حتى شاع عنهبأنه عصر العلم وتماشيا مع هذه الوجهة من النظر تكون فلسفة العصر الراهن أولا وقبل كل شيء هي الفلسفة، التي تحاول فهم ظاهرة العلم فهما يعمقها فتبحث في خصائصه ومقوماته والتنظيم الأمثل المناهجه و محاولة حل مشاكله التي تخرج عن دوائر اختصاص العلماء أي فلسفة العلم. وهذا ما يراه بعض أقطاب الفلسفة المعاصرة الذين بهر التقدم الساطع للعلم أنظارهم فامنوا بعلمية الواقع و الحياة الإنسانية وأرادوا أنتسحب هذه الخاصية العلمية على الفلسفة مثلما انسحبت على سائر قطاعات الحياة.

بالتالي تكون الفلسفة إما علمية أي تحل المشاكل التقليدية مستفيدة من انجازات العلم، وإما مقصورة على فلسفة العلم أي تبحث في مشاكله فقط كم يرى الوضعيون الناطقة مثلاً.

في هذا السياق نجد الفيلسوف النمساوي كارل ريدموند بوبر (1902-1995) الذي يصنف نفسه آخر التتويريين، فهو يعتبر من أهم فلاسفة العلم في القرن العشرين الذين يتوقع عندهم تاريخ الفكر الفلسفي بصفة عامة و تاريخ فلسفة العلم بصفة خاصة. ليشيد بدورهم و إسهاماتهم، ويعد فضلاً عن ذلك من أهم فلاسفة السياسة و الاجتماع، فإذا كانت فلسفته قد أخذت طابعاً علمياً يتسق و نظريات القرن العشرين، إلا أنها امتدت لتعالج كافة المباحث الفلسفية، إضافة إلى نظريته الإبيستيمولوجية وطرحه المتقرد الذي صاغه في مقولة "القابلية للتفنيد"، كما تعد إسهاماته في النقاش الدائر حول المعرفة التاريخية و خصائص المنهج التاريخي و نقده للنزعة التاريخانية ذات قيمة فعالة في بناء صرح التاريخ .

خصص بوبر نصيباً وافياً من جهده العلمي لنقض بنيان التاريخانية في مختلف صورها، باعتبارها نظريات مدمرة للإنسانية و أيديولوجيات تستند إليها الأنظمة الشمولية. فكارل بوبر إلى جانب فلاسفة آخرين من بين المنتقدين للوضعية المنطقية، لكن بحكم صلاتها الفكرية بهذه المدرسة وتأثره ببعض أطروحاتها حرص على التوفيق بينها وبين خصومها إذ يقترح مخرجاً لإشكالية التفسير والتأويل في المعرفة التاريخية .

فبوبر كما وصفه لورد ادوارد بول بأنه مفكر إنسانيمهم وهب حياته العقلية لفحص شروط التقدم العلمي و الاجتماعي و لم يبخل في بذل أي جهد في تحقيق غايته.

كما تميزت فلسفة بوبر بنزعة عقلية تستوحي روح العلم الخالصة ومنهجه القائم على المحاولة واستبعاد الخطأ و هذا ما جعلنا كغيرنا من الباحثين نتقصى الحقيقة ونستكشف

ما وصل إليه هذا الفيلسوف الذي ألهم العلماء و اثر في أدائهم العلمي تأثيرا ايجابيا ويرجع إلى منهجه الفضل في إعادة الفلسفة إلى مسارها الصحيح و جعلها مرشدا للعلماء بعد أن فقدت قيمتها و استطاع أن يحل مشكلة الاستقراء التي حيرت الفلاسفة منذ دافيد هيوم (1711-1766) كما قوض الماركسية و خلص العالم الغربي من تجربة ثقيلة كادت تقضي على طاقته و تعطل تقدمه لاسيما إثبات موضوعية المعرفة العلمية.

فإذا كان المؤرخون قد تواضعوا علناً عصر الأنساق الفلسفية الكاملة قد ولى، بحيث لم يعد يظهر فيلسوف تمتد مواقفه وتفسيراته لتشمل كل مباحث الفلسفة. فإننا نزع أن بوبر فيلسوف بكل ما تعنيه الكلمة، و إذا كانت فلسفته قد أخذت طابعا علميا يتسق ونظريات القرن الذي نعيشه، إلا أنها امتدت لتعالج كافة المباحث الفلسفية ومن بينها التاريخية، التي تعتبر رؤية قديمة قدم الفكر، إلا أنها لم تهيمن على حقل العلوم الاجتماعية إلا خلال القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين. ففي المعنى الذي أعطاه كارل بوبر لهذه الكلمة يعرفها على أنها: "البحث عن قوانين التغير الاجتماعي بصفاتها النظرية أو المذهب الذي يساعدنا على التنبؤ بمجريات الأحداث المستقبلية، فبوبر أكد أننا ندرس التاريخ أصلا لأننا نهتم به و نريد أن نتعلم منه شيئا عن مشاكلنا.

ومن خلال موضوع البحث فقد ارتأينا الإجابة على الإشكالية المحورية للموضوع و التي من خلالها يبقى الإشكال المطروح كالتالي : ما مفهوم التاريخية عند كارل بوبر ؟ وما الجديد الذي أضافه على التاريخ ؟

كيف استطاع بوبر أن يلم بالجانب العلمي من جهة و الجانب الفلسفي من جهة أخرى ؟ لماذا يطالبنا بوبر بفلسفات مفتوحة؟ وما البديل الذي اقترحه بوبر للخروج من دائرة المفاهيم المغلقة ؟

ومن الأسباب الذاتية التي جعلتنا نبحث في موضوع التاريخانية عند كارل بوبر هو السمة و الروح العلمية الخالصة التي يتميز بها كارل بوبر والتناسق الذي حققه بوبر بين الطابع العلمي و الفلسفي أما الأسباب الموضوعية فتتمثل أهمية الموضوع لان بوبر قدمه لنا بصيغة معاصرة تتلاءم مع ما يتطلبه القرن العشرين والانفتاح على أسس ديمقراطية خلاقة تدعو إلى البعد عن كل ما يدفعنا إليه المجتمع المغلق . من خلال التطرق إلى هذا البحث حاولنا الاعتماد على المنهج التحليلي النقدي إلى فيلسوف معاصرة و إشكالية معاصرة مثل التاريخانية لان دراسته تتطلب الوقوف على كل الأفكار الملمة بموضوع دراستنا .

وللإجابة عن هذه التساؤلات اتبعنا خطة البحث التالية :المتتملة في ثلاث فصول في كل فصل ثلاثةمباحث. **فالفصلالأول:** "من التاريخ إلى التاريخانية " تطرقنا فيه إلى مجموعة من المفاهيم كالتاريخ ، فلسفة التاريخ والتاريخية وأيضاالمبحث الثاني علم الاجتماع والتاريخ المبحث الثالث التاريخانية عند الفلاسفة.

أما**الفصل الثاني:** "فلسفة كارل بوبر" و فيه تطرقنا إلى المنهج العلمي والمبحث الثاني كان حول الوضعية المنطقية و موقف بوبر منها أما المبحث الثالث فكان العقلانية و تطور المعرفة.

الفصل الثالث: "الدراساتالنقدية عند كارل بوبر" بثلاث مباحث، المبحث الأول العلوم النظرية و العلوم التاريخية ،المبحث الثاني اثر المنهج البوبري في الفكر الفلسفي و المبحث الثالث المسؤولية والمستقبل إضافة إلى خاتمة، قائمة المصادر و المراجع و الملاحق.

ومع هذا يبقى البحث كغيره من البحوث الأخرى لا يخلو من الصعوبات منها قلة المراجع

المقدمة

باعتبار بوهر فيلسوف معاصر و معظم كتبه في طور الترجمة إضافة إلى أن التاريخانية موضوع يتميز بما يسمى السهل الممتنع و كذا صعوبة الوصول إلى المعنى الحقيقي للمفاهيم البويرية.

الفصل الاول : من التاريخ الى

التاريخانية

توطئة

❖ في المفاهيم (التاريخ، فلسفة التاريخ، التاريخية)

❖ التاريخ و علم الاجتماع

❖ التاريخانية عند الفلاسفة

خلاصة

في المفاهيم

1-التاريخ: " في اللغة اليونانية يعني التعلم أو المشاهدة أي كل ما يتعلق بالإنسان منذ أن بدأ يترك آثاره على الأرض."¹

فالتاريخ هو علم يبحث في الوقائع و الحوادث الماضية و حقيقته كما قال ابن خلدون: " أنه خبر عن اجتماع الإنساني وهو عمران العالم و ما يعرضه من أحوال مثل لتأنسو التقلبات للبشر على بعضهم البعض و ما ينشأ عن ذلك من الملك و الدول و مراتبها و ما ينتحله البشر بأعمالهم و مساعيهم من الكسب و المعاش و سائر ما يحدث في ذلك العمران أي أن بعض المؤرخين ي يقتصروا على ذكر الأخبار و الوقائع دون ذكر أسباب التي أدت إلي وقوع تلك الأحداث و هذا ما جعل المؤرخ همه تمحيص الأخبار."²

لم يكن لكلمة التاريخ في الماضي معنى واحد فقد كان التاريخ عند أرسطو: "موضوعه³ جزئي" أي أن التاريخ يتألف من أحداث متفرقة مدونة في وثائق. أما عند سقراط: فكان التاريخ يدل على المعرفة .

و عند فرانسيس بيكون: "هو العلم بالأمر الجزئية لا بالأمر العامة والقوة النفسية اللازمة

هي الذاكرة و هو ضد الشعر و ينقسم التاريخ عنده إلى مدني و طبيعي."⁴

البعض الآخر يرى بأن التاريخ: " يشتمل على المعلومات التي يمكن من خلالها معرفة نشأة الكون و كل ما يحويه وهذا ما نجده عند المؤرخ ويلزم من خلال كتابه موجز تاريخ العالم

¹ -مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة و النشر و التوزيع، د ط القاهرة، 2007، ص154.

² - رأفت غنمي الشيخ، فلسفة التاريخ، دار الثقافة للنشر و التوزيع، د ط، القاهرة، 1988، ص10.

³ -مراد وهبة، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص 155

ومن خلال هذا كله نجد أن مفهوم التاريخ قد أخذ معاني متعددة من حيث التعريفهناك من ربطه بالعلم و هناك من اعتبره مجرد جمع الوقائع.¹

إن التاريخ يشتمل الماضي و الحاضر و المستقبل معا و نحن عندما ندرس الماضي فإننا في نفس الوقت ندرس الحاضر و المستقبل فالتاريخ يعلمنا أن لكل زمان و مكان ظروفه وأفكاره و قيمه و أساليبه في التفكير و منه نفهم بأن التاريخ يجمع الأحداث و الوقائع الماضية في الحاضر و ذلك بالتنبؤ بأحداث المستقبل .

"ونجد أيضا **كرونويقول**: إن تصنيف العلوم يقسم المعارف البشرية إلى ثلاث أقسام: العلوم النظرية، العلوم الكونية، العلوم التاريخية و العلوم العملية. والثاني من هذه الأقسام يشتمل على علم الفلك، علم الجغرافيا، علم الجيولوجيا، علم المعادن، علم النبات و علم التاريخ المدني و الأدبي و الأخلاقي. فكلمة التاريخ تطلق على العلم بما تعاقب علماشيء. فيالماضي من الأحوال المختلفة من تاريخ الفلسفة و الأدب، و يطلق أيضا على الأحوال التي مرت بها البشرية."² ويمكن القول بأن التاريخ ليس عبارة عن أحداث فقط أو سجل يحوي هذه الأحداث و الوقائع و لكنه عبارة عن خبرات و تجارب حيوية ديناميكية لأناس عاشوا في وقت ما فمثلا": في دراسة موضوع القومية العربية و تحديدها علميا كفكرة

ديناميكية لا يمكن فهمها على أنها فكرة مجردة لكن لابد من دراستها على أنها فكرة تمثلا اتجاهافكريا موجودا في أدهان العرب أو نوع جديد من السلوك يسعى العرب للقيام به أو نوع من الحياة يريد العرب معاشته و هذا ما يتطلب دراسة و معرفة عوامل اجتماعيةاقتصادية و سيكولوجية و من هنا يتم دراسة التاريخ كتطور ديناميكي للأفكار."³ أيأن لقومية العربية جاءت كحركة فكرية علمية لفهم التاريخ. " لمعرفة معنى التاريخ لابد من فهم لزمان أو الوقت

¹-جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، دط، بيروت، 1982، ص229،

²-المرجع نفسه، ص231 -

1-د. رأفت غنمي الشيخ، فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص13

فقد كان اليونانيون و الرومان يعتقدون أن الزمن يسير ببطيء فاليوم طويل السنة طويلة يساعد على الفهم و الاعتقاد لظروف التي كان يعيش فيها الإنسان قديماحيثإن الفرد لا يعرف قيمة للوقت بينما في المجتمعات الحديثة هناك تقدير للوقت أنه يمتاز الحركة و السرعة هذا الاختلاف في النظرة إلى الزمن يتضمن اختلافات في فلسفة التاريخ".¹الذين يعتقدون بأن الزمن بطيءفكرة التطور و التقدم غير واضحة و يرون بأن التاريخ يعيد نفسه أما الذين يرون بأن الزمنو الحركة و سرعة الفهم في التقدم و التطور يجدون بأن التاريخ يساعد على تطور وتحسين ظروف الحياة.

التاريخ: " جملة الأحوال والأحداث التي يمر بها كائن ما وتصدق على الفرد والمجتمع كما تصدق على الظواهر الطبيعية والإنسانية".²

عند هيجل: "التاريخ جزء من الفلسفة لأنه ليس مجرد دراسة وصفية بل هو أقرب إلتحليل وبيان الأسباب".³

¹-المرجع نفسه، ص14

²-ابراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع المصرية، القاهرة، ص43،

³-المرجع نفسه، ص44.

فلسفة التاريخ:

أول من استخدم مصطلح فلسفة التاريخ العلامة عبد الرحمان ابن خلدون حيث قصد بها: البعد عن السرد وتسجيل الأحداث دون ترابط بينها كما أنها تبحث في العوامل الأساسية المؤثرة فيسير الوقائع التاريخية وتدرس القوانين العامة المسيطرة على النمو و الجماعات الإنسانية وتطورها على ممر العصور".¹

فولتير أول من صاغ مصطلح فلسفة التاريخ في القرن الثامن عشر فهي: "دراسة التاريخ دراسة عملية تحليلية ناقدة ترفض كل الخرافات وتنقح التاريخ من الأساطير و المبالغات".² معناه أنها تدرس التاريخ دراسة واقعية عملية وليست نظرية مجرد كلام وسرد للأحداث.

فلسفة التاريخ هي: "إعادة النظر إلى الوقائع التاريخية بنظرة فلسفية محاولة معرفة العوامل الأساسية التي تتحكم في سير الوقائع التاريخية والعمل على استنباط القوانين العامة ثانياً التي تتطور بموجبها الأمم والدول على مر القرون وذلك مع العلم أن التاريخ يسير وفق مخطط معين وفلسفة التاريخ هي رؤية المفكر لتاريخ والحكم عليه".³ أي أن فلسفة التاريخ تعيد النظر في سير تلك الأحداث و الوقائع التاريخية و لكن بنظرة فلسفية.

فالذين بحثوا في فلسفة التاريخ بعد "فيكو" "مونتسكيو" "تورغو" و هيجل الذي استنبط قوانين تطور الإنسانية من مذهبه الفلسفي العام حتى جاء فلاسفة التطور و فصخوا ما جاء فيأراء هيجل من أحكام جدلية و منطقية وجعلوا تطور الحياة الإنسانية قسماً من الكائنات الحية العامة. ومنه يمكن القول أن جميع فلاسفة التاريخ يبحثون عن قوانين تطور الأمم فمنهم من يرجع التطور التاريخي للتأثير الدين و منهم من يرجعه إلى تأثير

¹- رأفت غنمي الشيخ، فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص16.

²- المرجع نفسه، ص18.

³- علي القيم، علم التاريخ و التاريخانية، عدد 624، دار المعرفة، 2015، ص8.

العوامل الاقتصادية، وأحسن مثال يدل على هذه القوانين قول ابن خلدون إن الأحوال في الأمم تتبدل بتبدل الأيام و أن التطور التاريخي تابع لقانون الأجيال الثلاثة وهي البداوة الحضارة أي أن التاريخ يسير حسب أحوال الأمم فهو نسبي متغير و ليس مطلق.

يقول فيكو: "أن للتطور ثلاثة أدوار: الدور الإلهي، الدور البطولي و الدور البشري و هذه الدراسات حاولت الكشف عن القوانين تطور البشرية دفعة واحدة و أن تستقر القوانين الكلية قبل القوانين الجزئية".¹ لقد حاول لسنغوهردر وهيجل أن يضعوا للبشرية تاريخا عاما يحيط بأحوال الأمم و حضارتها ويحدد علاقتها بتطور العقل البشري أي أن استنباط هذه القوانين يجب أن يعتمد على الاستقراء الواسع أي من الكل إلى الجزء لا إلى تصور فلسفي سابق.

تعتبر فلسفة التاريخ من الدراسات التي هيأت لظهور علم الاجتماع حتى قال بعضهم بأن: "نسبة فلسفة التاريخ إلى علم الاجتماع كنسبة علم ما بعد الطبيعة إلى علم الطبيعة".²

يرى هيجل أن فلسفة التاريخ تقوم بمنظورين أساسيين:

"المنظور الأول : يجعلها دراسة لمناهج البحث أي للطرق التي يمكن أن يكتب بها التاريخ وكيفية التحقق من صحة الوقائع التاريخية و الكشف عن مدى صدق الوقائع و مناقشة فكرة الموضوعية في التاريخ أعني باختصار فحص نقديا دقيقا لمنهج المؤرخ هذا ما يسمأحيانا بالنشاط التحليلي الفلسفي".

¹ -فريدريك هيجل، العقل في التاريخ، مج 1، تر، إمام عبد الفتاح، دار التنوير للطباعة و النشر، ط3 بيروت، 2007، ص29.

² -المرجع نفسه، ص34.

¹ أما المنظور الثاني: لفلسفة التاريخ وهو النشاط التركيبي الذي لا يدرس فيه الفيلسوف مناهج البحث في التاريخ وإنما يقدم وجهة نظر من مسار التاريخ ككل ². معناه أن هيجل يعطي لنا ركائز فلسفة التاريخ من منظورين هما الفحص النقدي الدقيق لمنهج المؤرخ والمنظور الثاني يقدم وجهة نظر عن مسار التاريخ أي تاريخ الإنسان وتطوره الحضاري.

"إن فلسفة التاريخ لاتقف عند عصر معين ولا تكتفي بمجتمع خاص وإنما بضم العالم كله في إطار واحد من الماضي السحيق حتى اللحظة التي أتى فيها المستقبل فهي لم توجد لأنها تعوض قصور كل من الفلسفة والتاريخ فحسب وإنما تلبى للإنسان حاجة فكرية فكما انتاب الإنسان في حاضره وذلك لتطلع على مصيره في المستقبل لجأ إلى الماضي تستوحيه فمثلا جلد القديس أوغسطين الذي حاول أن يفسر التاريخ وهو يشاهد تداعي العالم القديم فوضع نظرية العناية الإلهية"³.

¹ - فريديريك هيجل، العقل في التاريخ، مرجع سابق، ص 29.

² - المرجع نفسه، ص 47.

³ - المرجع نفسه، ص 50.

3-التاريخية:

"هي القول أن الأمور الحاضرة ناشئة عن التطور التاريخي ويطلق هذا اللفظ أيضا علنا المذهب القائل أن اللغة والحق والأخلاق ناشئة عن إبداع جماعي لاشعوريلا إرادي وإن هذه الأمور قد بلغت الآن نهايتها وإنك لا تستطيع أن تبدل نتائجها بالقصد ولأن تفهمها على حقيقتها إلا بدراسة تاريخها".¹ فيرى أصحاب هذا المذهب أننا لا نستطيع أن نحكم على الأفكار والحوادث إلا بالنسبة إلى الوسط التاريخي الذي ظهرت فيه لا بالنسبة إلى قيمتها الذاتية لا غير لأننا إذا نظرنا إليها من الناحية الذاتية فقط ربما وجدناها خاطئة وإذا نسبنا إلى الوسط التاريخي الذي ظهرت فيه وجدناها طبيعية وضرورية . "لا يمكننا أن ندرس التاريخ إلا من خلال الوسط التاريخي التي وجدت فيه التاريخية كوجهة نظر تلتزم عرض المفاهيم العلمية من حيث تطورها عبر التاريخ و هي جزء جوهري من المنهجالديالكتيك". (وهو مذهب يقرر أن القانون من نتاج العقل الجمعي لهذا فإن العرضالتاريخي اللازم لدراسة التاريخ).²

أما عند كارل بوبر تعني هذه النزعة "أن التنبؤ التاريخي هو الغاية المنشودة و هذه الغاية ممكنة التحقق من خلال الكشف عن قوانين التطور التاريخي و مع ذلك فإننا نجد كارل

¹-جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، دط، بيروت، 1982، ص228،

²- مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار القباء الحديثة للطباعة و النشر و التوزيع، دط، القاهرة ، 2007، ص 156

بوبر ينقد هذه النزعة بدعوى أنها تسيء فهم تطبيق المناهج المستخدمة في علم الفيزياء علالعلوم الاجتماعية".¹

كما نجد أنها هي: " مجرد القول بأن الوقائع التجريبية الحية زمانا خاصا و إنها تتسم بشيء منالمرونة و الطلاقة وقد قال به الوجوديون معارضين بذلك نظرية حتمية التاريخ الماركسية لميتغلب أنصار التاريخ الإنساني على أنصار التاريخ الطبيعي ولم يتغلب هؤلاء على أولئك كل فريق يستعمل مفاهيم خاصة به بيد أن ما نتج عن صراع الاتجاهين من تدقيق في مفهوم التاريخ ولدّ وعيا حادا بأن ماهية الإنسان في وجوده في التاريخ ليس من الصدفة".²

فقضية الزمان في مقدمة اهتمام الفلاسفة في بداية هذا القرن كما نرى ذلك فيأعمال برغسون و بروسست بل يمكن القول إن المذهب الوجودي رغم نقده لتاريخ المؤرخينفهو وليد تعارض التاريخانية و الوضعانية القائلة بوحدة تطور الكائنات .

إن الوجوديين يركزون على أن الإنسان موجود في الزمان وأن الوجدان الحق هو وعيالفرده بأنه كائن فان بإطناب حالات نسيان وتناسي هذه الحقيقة المرة و طرق باكتشافهاالمؤلم وغير أن الوجدان و تجربة التناهي و الحياة كوعي حاد بالضرورة وهي تعابير كثيرا ما تعرض في المؤلفات الوجودية تبدو و كأنها صيغ لمفاهيم السرد التاريخي وأطلقتأقصى ما يمكن عن الإيحاءات فيعني التاريخ في هذا النطاق غير ما يعني في العادة"³.

أيأنالعلاقات العادية بين أقسام الزمان يفترض المؤرخ أن الحاضر نتيجة الماضي وأنالمستقبل لأفق الحاضر في حين أن الوجودي يرى أن الحاضر هو الكاشف عن الماضيو المستقبل

-بورون و بوبر يكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، تر، سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، 1986،¹ ص13

²- محمد يعقوبي، معجم الفلسفة أهم المصطلحات و أشهر الأعلام، دار الكتاب الحديث، ط2 الجزائر، 2010،ص24

³- بورون و بوبر يكو، المرجع السابق، ص25

عامل مؤثر في الحاضر غير أن الاثنين متفقان على نفي ديمومة ماهية الإنسان و أن الإنسان تاريخي.

"إن تجربة الزمان أصل كل نظرة إلى الكون هناك نقطة مهمة أخرى تلتقي فيها التاريخية الوجودية و التاريخانية فقد طبق أوغست كونت منهج الطبيعيات على دراسة ماضي الإنسان تكلم عن قانون المراحل الثلاث: الدينية و الماورائية و الوضعية فقد حافظت الوجودية على هذا الموقف بل ذهبت به إلى أبعد مدى فعوض أن تربط النظرة إلى الكون بظروف تاريخية جماعية نراها تربطها بتجربة وجدانية أنطولوجية و ذلك انطلاقاً من تجارب أولية فلكل مذهب تصور خاص للزمان و التاريخ".¹

¹-مراد وهبة، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص159.

التاريخ و علم الاجتماع:

إن علم الاجتماع معني بدراسة الحياة الاجتماعية و الجماعات و المجتمعات الإنسانية إنهمشروع مذهل و شديد التعقيد، لأن موضوعه الأساسي هو سلوكنا ككائنات اجتماعية، ومن هنا فإن نطاق الدراسة الاجتماعية يتسم بالأتساع البالغ و يتراوح بين تحليل اللقاءات العابرة بين الأفراد في الشارع من جهة و استقصاء العمليات الاجتماعية العالمية من جهة أخرى.

يعرفه دوركايم على أنه:"يجعل من الظواهر الاجتماعية الموضوع الرئيسي لعلم الاجتماع"¹ومن هنا نحده قد اجتهد في تجديد الخواص التي تميز الظواهر الاجتماعية عن غيرها من ظواهر الطبيعة و الحياة غير الإنسانية.

أما ماكس فيبر فيرى أن " علم الاجتماع هو العلم الذي يحاول الوصول وتفسير الفعلااجتماعي من أجل التوصل إلى تفسير علمي لمجراه و نتائجه "

ونجد أيضا صامويل بأنه "علم العمليات الاجتماعية، وهو أيضا دراسة الإنسان في تأثيره وتأثيره في المجتمع"²

¹د، زهير احمد، علم الاجتماع الأسري ، جامعة المالك فيصل ،دط، 2009، ص 12

²المرجع نفسه، ص 13

أما التاريخ فيعرفه: "ابن خلدون أنه: "خبر عن الاجتماع الإنساني وهو عمران العالم و ما يعرضه من ابن خلدون أنه: "خبر عن الاجتماع الإنساني وهو عمران العالم و ما يعرضه من أحوال الناس مثل: التأنس و التقلبات للبشر على بعضهم البعض و ما ينشأ عن ذلك الملك و الدول ومراتبها و ما يتحلى به البشر بأعمالهم و مساعيهم من الكسب و المعاش وسائر ما يحدث في ذلك العمران".¹

أحوال الناس مثل: التأنس و التقلبات للبشر على بعضهم البعض و ما ينشأ عن ذلك من الملك و الدول ومراتبها و ما يتحلى به البشر بأعمالهم و مساعيهم من الكسب و المعاش وسائر ما يحدث في ذلك العمران".

أي أن التاريخ علم يبحث في الوقائع و الحوادث الماضية". فبعض المؤرخين يقتصرون على ذكر الأخبار و الوقائع دون ذكر الأسباب التي أدت إلى وقوع تلك الأحداث و هذا ما جعل المؤرخ همه تمحيص الأخبار.

"فلعلم الاجتماع قوانين و هو موضوع يدرس بكل منهجية و يلزم الدخول إلى التاريخ بالرجوع إلى أصله وهذا مهم جدا حتى و لو أن التاريخ هو معرفة قوانينها و التحكم فيها و يكون تفسيراً ملاحظ و مدروس من قبل علماء الاجتماع بالتساؤل و البحث للابتعاد عن العوائق"². وكان هذا أول عمل يعده عبد الرحمان ابن خلدون المؤرخ الذي انتقل من الحياة السياسية إلى حياة العلم بكل طموح. وهذا من خلال قوله: «وقد برزت العلاقة بين التاريخ و علم الاجتماع فقد أقام كل منهما علاقات معقدة مصنوعة من الفروقات و المشابهات ففحالات كثيرة من الصعب اتخاذ قرار حاسم حول ما إذا كانت دراسة معينة تختص بهذا العلماء ذاك يقتضي إذن أن نحذر التميزات القاطعة لأن الاقتراح الذي سنبسطة مؤداه أنه من المبالاة

¹ رأفت غنمي الشيخ، فلسفة التاريخ، دار الثقافة للنشر و التوزيع، د ط، القاهرة، 1988، ص10

² بورون و بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، مرجع سابق، ص133.

الزعم بأن علم الاجتماع هو أساسا علم يهدف إلى إبراز قوانين عامة ، في حين أن التاريخ هو أساسا علم وصفي¹

قد يكون من المغالاة أن نرى في التاريخ علم المفرد وفي علم الاجتماع العام أن متناقضات هذه الكثافة قد يكون لها فضيلة تعليمية و لكنها مقتضبة جدا لوصف المشابهات والفروقات بين علم الاجتماع كما هو التاريخ .

و الحق يقال غالبا ما يكون لهذه التميزات و وظيفة عملية و أحيانا جدلية . فهي تسمح لعالم الاجتماع بأن يضع معالم منطقة ذات حدود غير أكيدة و لكن إذا كان صعبا التفريق بين العلمين بواسطة تميزات حاسمة فمن الصحيح كذلك من وجهة النظر المثالية النموذجية أنهما يميلان بعكس رأي بعض المؤرخين الذين أنهم على غرار بروديل ميالين إلى إنكار خصوصية لعلم الاجتماع إلى التميز لناحية الأغراض و الطرائق .

"إن أولى هذه السمات شرحت من قبل **توكفيل** في مقدمته للنظام الجديد و الثورة ففي الغالب حتى لا نقول دوما يبدأ البحث السوسيولوجي بسؤال يتعلق بأسباب وجود ظاهرة سوسيولوجية كبيرة"² . وهنا نجد **توكفيل** الذي يتساءل هل أدت الثورة إلى إعادة إنتاج عددمعين من السمات المميزة لمجتمع النظام القديم؟ كما نجد الفيلسوف الآخر دوركايم الذي يتساءل لماذا تظهر مع معدلات الانتحار و كأنها في زيادة منتظمة طوال القرن التاسع عشر في كل المجتمعات التي ستوصف فيما بعد بأنها صناعية .

و يتساءل أيضا دوركايم لماذا تميل الفردية لأن تكون القيمة الجوهرية للمجتمعات الصناعية و باختصار مما لا شك فيه أن عالم الاجتماع يعطي نفسه غالبا الحق أكثر من المؤرخ في أن يعزل وسط المد التاريخي لهذه الظاهرة الاجتماعية الكبيرة أو تلك التي يسعى لإظهار أسباب وجودها .

¹-المرجع نفسه، ص134.

-بورن و بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، تر، د سليم حداد، ديوان المطبوعات للنشر و التوزيع، د ط،

²القاهرة، 1990، ص125

"إن عمل "توكفيل" نموذجي في هذا الصدد إذا كان مشروعة في النظام القديم لا يتعلقبالتاريخ كما يؤكد هو نفسه ذلك و يعتبر بصورة عامة بأنه يرتبط بعلم الاجتماع.¹"

"أما السمة الثانية المميزة لعلم الاجتماع على مستوى مثالي نموذجي فهي طموحة إبالعمومية و هذا الطموح لا يدل على أن علم الاجتماع مدعو فقط إلى إقامة قوانين عامةمشابهة لقوانين الفيزياء على سبيل المثال تبين الأمثلة الواردة أن علم الاجتماع يمكن أنيهتم و هو يهتم غالبا في التطبيق بتحليل الظواهر الفريدة و يمكن أن يتخذ الطموح إلى العمومية شكل البحث عن القوانين العامة".²

البحث عن قوانين عامة: ليس مؤكدا بمعزل عن المقاصد المعلنة لعلماء الاجتماع أن هذا النشاط هو من الناحية العملية أكثر تكرار أو الأكثر يمكننا تعريف قانون عام باعتبارهاقتراحا ن = ع د و بصورة أعم ن = ع يتعلق الأمر إذن باقتراحات ذات نمط مشروط.

"و هكذا يعتبر دوركايم أن معدلات الانتحار ن هي نتيجة متزايدة للارتباك إذتبين هذه الأمثلة أنه ليس من الصعب إقامة لائحة من المقترحات السوسولوجية الكلاسيكية إلى حد ما من نوع الذي يمنحها علماء الاجتماع مدى عاما لقد استعيرت الأمثلة السابقة منميدان علم الاجتماع و يمكننا أن نجد الأمثلة عديدة أخرى في مجالات أخرى مثل علمالاجتماع و التربية أو التنمية... الخ".³

يمكننا الخروج باستنتاج حول هذه النقطة بالقول " إن طموح عالم الاجتماع لإقامة قوانينمنوع ن = ع د يصف فعليا خصوصيات علم الاجتماع بالنسبة للتاريخ إن هذه الطموحيصطدم بحد هو الصفة المحلية للقوانين القائمة إن الصفة المحلية للقوانين السوسولوجيةمقتترنة

¹-المرجع نفسه، ص127

²-المرجع نفسه، ص129

³-مصطفى الخشاب، دراساتي علم الاجتماع، مركز البحوث و الدراسات الاجتماعية، ط2، القاهرة، 2003، ص79

بصعوبة تحديد شروط صحتها و ذلك على الاقتراح الذي تميز بواسطته علما لاجتماع عن التاريخ".¹

البحث عن قوانين تطورية :

"إنه أحد الطموحات الأخرى المعترف بها علم الاجتماع من أوغست كونت و كارل ماركس إلى علم الاجتماع المعاصر مرورا بدوركايم و سبنسر إن القانون التطوري هو مقولة تدلأن نظاما معيناً مدعو للمرور في سلسلة من الحالات القابلة للتحديد مسبقاً

إن تطور المجتمعات يخضع لثوابت مشابهة التي أوضحها جون بياجي في حالة تطور الشخصية في الواقع يمكننا إخضاع هذا الطموح الثاني لعلم الاجتماع أي تثبيت وجود القوانين التطورية لنقد مشابه للسابق".²

إن السمة المحلية و الجزئية للقوانين التطورية التي وضحها علماء الاجتماع تدخل النسبية على التمييز القاطع الذي أراد رواد علم الاجتماع إقامته بين علم الاجتماع و التاريخ.

البحث عن نماذج بنوية :

يتخذ غالبا طموح علم الاجتماع إلى العمومية شكلا ثالثا و هو شكل البحث و هذا ما سنسميه النماذج البنوية ومن الأمثلة نجد نموذج هيرمان هو بالتأكيد عملية مميزة عن تلك التي تقتضي إما بإقامة قوانين شرطية عامة أو بإقامة قوانين تطورية.

"و لربما كان يقتضي البحث على هذا المستوى عن الخصوصية الحقيقية لعلم الاجتماع بالنسبة للتاريخ فمجموعة القواعد المشار إليها بتعبير عن النظرية السوسولوجية

¹ - المرجع نفسه، ص 87-

² - بورون و بور يكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع مرجع سابق، ص 131

تتشكل أساساً كما يمكن تبيان ذلك دون عناء فعندما يحلل عالم الاجتماع ظاهرة فريدة سواء تعلق الأمر بعصاة من الجانحين أو بحادثة تاريخية أو بميزة فريدة بهذا المجتمع".¹

فنجد من أكثر المنظرين الاجتماعيين تأثيراً و شهرة "ماكس فيبر" فقد كان كاتباً غزير الإنتاج و مفكراً تناول الكثير من الأعمال منها ، أخذ جزء كبير من علم الاجتماع و قدناقش أفكاره حول منهج العلوم الاجتماعية لأن الفهم الواضح لهذه الأفكار ضروري و يجعلنا أولاً نتطرق إلى العلاقة بين التاريخ و علم الاجتماع عنده: فبالرغم من أن فيبر كانطالب قانون لكن الاهتمام بالتاريخ سيطر عليه منذ بداية حياته الأكاديمية ومع تحول "فيبر"

أكثر في اتجاه علم الاجتماع الجديد نسبياً و في ذلك الوقت حاول توضيح علاقة التاريخ بعلم الاجتماع.

"فماكس فيبر" شعر بأن كل مجال بحاجة للأخر كانت رؤيته أن: " مهمة علم الاجتماع هي توفير الخدمات الضرورية للتاريخ فقد ذكر بأن علم الاجتماع يؤدي فقط مهمة متوسطة و الفرق الذي نجده بين التاريخ و علم الاجتماع أي أن علم الاجتماع يحاول صياغة مفاهيم نموذجية و نظم مهمة للعمليات الميدانية هذا ما يميزه عن التاريخ الذي يتوجه نحو التوضيح و التحليل النسبي لأفعال الفرد البنيات و الشخصيات التي لها أهمية كبيرة بالرغم من هذا الفرق الموجود بينهما إلى أن فيبر حاول المزج بينهما فقد كان علم اجتماعه متجهاً نحو تطوير مفاهيم تمكنه من القيام بالتحليل النسبي للظواهر التاريخية"². و لهذا نجد أن فيبر يعتبر أن " عالم الاجتماع تاريخي فتفكير فيبر عن علم الاجتماع تأثر بعمق بسلسلة من المجالات الفكرية أهم تلك المجالات نجد علاقة بين التاريخ و علم الاجتماع فهناك من

1- أنتوني غدنز، علم الاجتماع، ترد د. فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، ط4، بيروت، 2005، ص47.

2- المرجع نفسه، ص48.

يربأن: " التاريخ يتكون من قوانين عامة"¹. و هناك من يحصر التاريخ في أفعال و حوادث فردية.

فقد أظهر فيبر طريقته الخاصة و التي تحتوي على دمج التوجهين. ففيبر يرى بأن: "كلمنالتاريخ وعلم الاجتماع يهتمان بالفردية و التعميم في أن واحد قد يحقق هذا التوحيد منالفردية و التعميم في أن واحد قد يحقق هذا التوحيد من خلال تطوير و استخدام مفاهيمعامه و سنسميها بنماذج مثالية و ذلك من خلال دراسة أحداث أفراد ومجتمعات محددة".² فنظرة فيبر حول علم الاجتماع التاريخي تشكلت جزئيا بوفرة المعلومات التاريخية فهو يعتقد بأن: " التاريخ الاجتماعي مكون من عدد من الظواهر المستمرة لدارسة هذه الظواهر حاولالمزوجة بين الخاص و العام في محاولة تطوير علم يتعامل بعدل مع الطبيعة للحياة الاجتماعية"³. كما نجد الأخر عبد الله العروي يؤكد على مسؤولية الأفراد بمعنى أن: "الإنسانهو صانع التاريخ مع التأكيد على صيرورة الحقيقة للحدث التاريخي و تسلسل الأحداثو لكن هذا لا يعني أن الإنسان يمكن أن يصنع تاريخه الخاص به داخل إطار التاريخ «⁴.

¹-المرجع نفسه، ص 40

²-بورون و بور يكوالمعجم النقدي لعلم الاجتماع، تر، سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص16،

³-المرجع نفسه، ص28

⁴-مصطفى الخشاب، دراسات في علم الاجتماع، مركز البحوث و الدراسات الاجتماعية، ط2، القاهرة، 2003، ص100-

التاريخانية

مما لا شك فيه أن التاريخانية رؤية قديمة قدم الفكر إلى أنها لم تهيم على حقول العلوم الاجتماعية إلا خلال القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين وهنا نجد الفيلسوف النمساوي كارل بوبر في المعنى الذي أعطاه لهذه الكلمة التاريخانية هي: "البحث عن قوانين التغيير الاجتماعي بصفاتها النظرية أو الرؤية التي تعتبر أن هذا التغيير أو التطور التاريخي يخضع لقوانين التعاقب الغير المشروط و بذلك يعطي للتاريخ وجهة أو اتجاهها.

وهذا يعني أن التاريخانية هدفها كشف قوانين التطور الاجتماعي وفهم التبادلات الحضارية الكبرى في تاريخ الإنسان فهي في حقيقتها اختراق الفلسفي لعلم التاريخ ولمجاله العام و الذي كان حكرًا على المؤرخين أنفسهم في وصف الماضي و الاكتفاء بسرد أحداثه بتسلسلها الزمني .

"التاريخانية هي طريقة في معالجة العلوم الاجتماعية تفترض إن التنبؤ التاريخي هو غايتها الرئيسية، كما تفترض إمكانية الوصول إلى هذه الغاية بالكشف عن القوانين أو الاتجاهات أو الأنماط والإيقاعات التي يسير التطور التاريخي وفقا لها".¹

"وفي المعنى الواسع تتطابق التاريخانية مع مجموعة النظريات التي تريد أن تخضع التغيير الاجتماعي إلى قوانين تطويرية أو قوانين دورية وهذا ما يريده علماء الاجتماع أن يصدر ذلك التغيير في بعض الأوضاع وبتحديد أكبر في التغيير الثقافي. بحيث يقر سوروكين أنه خاضع لإيقاع ثلاث أدوار دور تمثيلي يتميز بأهمية القيم المحسوسة و دور مثالي يتميز بأهمية المفاهيم المجردة ودوره الحسي الذي يتميز بالمبدأ القائل بأن الواقع هو نوع من الحسي".²

ومنه نفهم أنها عبارة عن مذهب قوامه الكشف عن القوانين المجتمع.

"تعتبر التاريخانية ميزة لجميع النظريات التي تطمح بكشف قوانين التغيير الاجتماعي أو الضوابط ذات المدى العامة في التغيير أو بمعنأخر أنها النظرية التي يكون بمقتضاها مستقبل النظام الاجتماعي انطلاقا من الملاحظة الشاملة لنظام معين في ز استنتاج تطوره من ز + ج.

فالتاريخانية بالمعنيين الأولين تتضمن بصورة عامة الفرضية القائلة بأن النظم الاجتماعية تخضع إلى الحتمية وهكذا تكون القوانين تطويرية ونجد أيضا النظريات الدورية للتاريخ التي يخضع بموجبها التغيير الاجتماعي لقوانين مطلقة".³

¹ بورون و بور يكوالمعجم النقدي لعلم الاجتماع، تر، سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص129

² - المرجع نفسه، ص135

³ - المرجع نفسه، ص135

"إن التاريخانية مذهب يساعدنا على التنبؤ بمجريات الأحداث المستقبل وجعل التنبؤ التاريخي هدفا أساسيا ويمكن أن نحقق الهدف من خلال معرفة الاتجاهات العامة والقوانين التي تقبع في خلق التطورات فهي بذلك النظر إلى التاريخ كتطور محدود لصيرورة واضحة نكتشفها من خلال الماضي و نعمل من خلالها على تحديد المستقبل أي أنه لا يمكن أن نطور التاريخ قبل أن ننظر إلى الاكتشاف المسبق لكي نبني الجديد".¹

يؤكد كارل بوبر أننا ندرس التاريخ أصلا لأننا نهتم به و نريد أن نتعلم منه شيئا عن مشاكلنا.

"إن التاريخ لا يمكن أن يؤدي هذين الغرضين إلا إذا كان محكوما بتأويل موضوعي نعرض فيه تلك المشاكل التاريخية فنحن ملزمون بمثل هذا العرض لنرى هذا الاتصال مشاكلنا بالماضي و مسارها عبر التاريخ لنرى إمكان سيرها نحو التقدم و ذلك من خلال توضيحوقائع التاريخ كما هو الحال في الفيزياء فمهما احتوت رصيذا ضخما فهي تحتاج إلى وقائع جديدة لكي تختبر النظرية القديمة".² فبوبر يرى أن التاريخ شامل لتطور الكائن الاجتماعي كله و يؤكد على هذه الفكرة باعتبارها صادرة عن نظرة حدسية.

"لقد ثمة لمفهوم القانون غير المشروط التي يتضمن النظريات التاريخية للتغير و على غرار أوغست كونت في ميدان العلوم الطبيعية المتمثل في نظرية علم الأحياء من الناحية الظاهرية وبرعوا في تواجد قوانين التعاقب و ليس فقط في العالم الإنساني و الاجتماعي وكذلك في العالم الطبيعي و توجد قوانين أكثر تعقيدا منها يفترض قانون التطور ينجم عن أوليات أساسية و يتضمن القانون الغير المشروط نظريات تاريخية وقد تكون غير مطلقة و تحدد في ميادين منها الطبيعي".³

¹ - كارل بوبر، درس القرن العشرين، تر، زاوي بغورة، دار العربية للعلوم، الجزائر، 2008، ص70

² - المرجع نفسه، ص71

³ - كارل بوبر، عقم المذهب التاريخاني، تر، عبد الحميد صبرة، دار الناشر للمعارف، إسكندرية، 1959، ص23

التاريخاني يرى أن: " التاريخ مثل مجرى الماء و يعتقد أنه أكثر ذكاء و هذا الموقف على المستوى خاطئ كلياً و بإمكاننا أن ندرس التاريخ كما نشاء لكن هذه الفكرة الخاصة بالنهر ليست أكثر من مجاز ولا علاقة لها بالواقع و بالحقيقة و يمكن أن ندرس ما مضى و لكننا مضى انتهى علينا فقط و ببساطة أن نتحرك و أن نحاول جعل الأشياء أفضل و أحسن لا نعتقد أن بإمكاننا أن ندرس التاريخ و معرفته دون التطلع إلى ماضيه و ليس للتاريخاني الفضل في التطلع للمستقبل دون الرجوع إلى ما كان نحن نعتقد أنه بإمكاننا أن نتكهن به بفضل مجرى الماء أو الاتجاه ".¹

"ليس هناك ما نسميه معنى التاريخ لأنه يزد دائماً في اتجاهات خاطئة يجب أن نذهب بعيداً إلى ما قبل ماركس لقد عبرت عن رأي في التاريخانية و يمكن أن نعود إلى أصل النظرة الغائية للتاريخ و إلى الشمولية .

لقد أوليت دوماً أهمية كبيرة لمفهوم التاريخ و ذلك باعتباره تطور للمعرفة العملية وتحديد من خلاله المستقبل ".²

أما رأي ماركس بوضوح مستندا إلى مانديفيل و آدم سميث الذين يرون أن التاريخ: "ينجم عما يثيره الرجال و هم يسعون وراء أغراضهم الفردية من آثار جماعية معقدة غير متوقعة أحيانا وغير مرغوب فيها أحيانا أخرى ".³

تمثل التاريخانية الوجه الآخر لفلسفة التاريخ لان هدفها : "كشف قوانين التطور و التغيير الاجتماعي وفهم التبادلات الحضارية الكبرى في تاريخ الإنسان و هي في حقيقتها اختراق فلسفي لعلم التاريخ و لمجاله العام الذي كان حكراً على المؤرخين أنفسهم في وصف

¹-كارل بوبر، درس القرن العشرين، المرجع السابق، ص69

²-كارل بوبر، بحثاً عن عالم أفضل، تر د . أحمد مستجير، الألف كتاب الثانية، الهيئة المصرية للكاتب 1966 ص150-

³-كارل بوبر، درس القرن العشرين، المرجع السابق، ص155

الماضي والاكتفاء بسرد أحداث بتسلسلها الزمني المنتظم من أقصى نقطة في الماضي السحيق إلى الزمن المعاش".¹

أي انه لا يوجد تجادل بين فلسفة التاريخ والتاريخية فيطبيعة القوانين الطبيعية المحركة للتغيير ولضوابطها المنطقية فهي قوانين كلية وضرورية في سير الأمور في الماضي حتى المستقبل.

"تهتم التاريخانية بتقسيم الزمن والتطور إلى مراحل من الأدنى إلى الأعلى واعتبار خط التاريخ خطأ تطوريا بالضرورة تتعاقب في المراحل ويطوي بعضها بعضا بما يسمى التعقيب وهي تقسيمات مستعارة من البيولوجيا والداروينية التي فعلت فعلها في العلوم الاجتماعية فالمفكرون قد اجتهدوا في تحديد طبيعة تلك المراحل في العلوم الإنسانية من الفلسفة والاقتصاد والتاريخ إلى علم الاجتماع وهي في الأساس تصنيفات تتجاوز أهميتها الإجرائية إلى نموذجية خط التطور والتفسير من مرحلة إلى أخرى".²

أيان التاريخانية في طبيعتها تنتقل من مرحلة من أخرى. ومن أشهر مراحل هذا التعقيب نجد نظرية التشكيلات الاجتماعية المراحل الثلاث عند أوغست كونت الخ. "إن التاريخانية تشمل القوانين العلمية بالمعنى الخاص للعلم أيما يفيد مقارنة الواقع وتميزها عن قوانين العلم الطبيعي بفاعليتها ومضمونها المعرفي الاجتماعي فهي قوانين خاصة لممارسة الإنسان الهادفة والواعية للوصول إلى تعميمات ومفاهيم تتجاوز المعرفة".³

¹-المصدر نفسه، ص160-

²-المصدر نفسه، ص161-

³-المرجع نفسه، ص626-

خلاصة

في ختام هذا الفصل توصلنا إلى نتيجة مفادها أن التاريخ عندما يكتب بطريقة موضوعية خالصة يصبح حسب تعريف المؤرخ الفرنسي "هنري مارو" منفرا لا طعم له و لا رائحة ولا بد من استخدام المفاهيم حتى يصبح التاريخ ذا مذاق مقبول علما بأن المؤرخ في النهاية يعبر في كتاباته عن نفسه و زمانه و عن الماضي الذي يدرسه .

الفصل الثاني : فلسفة كارل بوبر

توطئة

المبحث الأول : المنهج العلمي عند كارل بوبر

المبحث الثاني : الوضعية المنطقية و موقف كارل بوبر منها

المبحث الثالث : العقلانية و تطور المعرفي

خلاصة

المنهج العلمي:

المنهج هو الطريقة بمعنى الطريق الواضح المستقيم الذي يمكن التوصل بصحيح النظر إلى غاية معينة و يوضح اصطلاح المنهج كترجمة للاصطلاح الأوربي وهو كلها تعود في النهاية إلى الكلمة اليونانية وهي كلمة ستعملها أفلاطون بمعنى البحث أو النظر أو المعرفة كما نجدها أيضا عند أرسطو بمعنى البحث والمعنى الاشتقائي لها يدل على الطريق أو المنهج المؤدي إلى الغرض المطلوب خلال المصاعب و العقبات ¹.

فهو وسيلة تحقيق الهدف و هو الطريق المحدد لتنظيم النشاط أو معناه الفلسفي على وجه الخصوص فهو وسيلة المعرفة. أما المنهج العلمي فهو تحليل المنسق وتنظيم للمبادئ و العمليات العقلية و التجريبية التي توجه بالضرورة البحث العلمي أو ماتؤلف بنية العلوم الخاصة .

ونجد تعريف عبد الرحمان البدوي بأن المنهج العلمي هو الطريق المؤدي للكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة لتنظيم من القواعد العامة .ومنه نستنتج أن المنهج العلمي أنه مجموعة من القواعد التي توضع لتنظيم عملية اكتساب المعرفة بالعالم بصفة عامة .

1-1 المنهج العلمي بصورته التقليدية:

يقوم هذا المنهج الذي يسمى في أغلب الأحيان المنهج التجريبي على أساس هام هو الخبرة الحسية بصفة عامة حيث يتوارد تأثير الاستدلال العقلي بجانب الدور الأساسي للمشاهدات الحسية التي كانت تلعب دور كبيراً في الاكتشافات العلمية في ذلك الوقت كما يسمى أيضا بالمنهج الاستقرائي و ذلك باعتماده على استقراء كمنهج وحيد للبحث العلمي معناه المنهج الاستقرائي أو التجريبي يقوم على مراحل أساسية لكي يكون منهاجا متكاملًا².

¹يمنى طريف الخولي، فلسفة كارل بوبر ، منهج العلم منطق العلم ، النهضة المصرية العامة للكتاب ، دط، 1989،ص35

²المرجع نفسه،ص38

مراحل المنهج الاستقرائي تتمثل في:

الملاحظة و التجربة: تعني الملاحظة توجيه الحواس و الانتباه إلى ظاهرة معينة أو مجموعة من الظواهر رغبة الكشف عن صفاتها أو خصائصها توصلنا إلى كشف معرفة جديدة عن تلك الظاهرة أو الظواهر، وهذا يشير إلى ما يتطلبه البحث العلمي من أداة و دقة أي مشاهدة الظواهر مستخدماً الحس و العقل ، منها في التنسيق مثلاً: اكتشاف جاليليو لسقوط الأجسام قد بدأ من ملاحظة السرعة كلما اقترب الجسم من الأرض.

فرض الفروض: لا قيمة للملاحظة و التجربة من الناحية المنهجية إلا إذا وجد الفروض الذي ينظم الظواهر و يفسرها تفسيراً علمياً يسمح بالتنبؤ بالمستقبل فالفرض هو عبارة عن تكهن ومحاولة لتفسير وظيفته أن يربط بين عدد من الملاحظات و التجارب فلا جدوى للملاحظة و التجربة إذا لم توجد الفروض فالفرض هو نوع من الحس بالقانون لأنها متى ثبت صحته أو صدقه أصبح قانون عاماً يمكن الرجوع إليه في تفسير الظواهر.

تحقيق الفروض: بعد وضع تلك الفروض المناسبة نبدأ في تمحيصها اعتماداً على منهج مزدوج سلبي في جانب و إيجابي في جانب آخر يتمثل الجانب السلبي في استبعاد الفروض التي لا تتفق تقنياً مع الحقائق المسلم بها من قبل القوانين الثابتة، معناه أننا نأتي ببرهان مضاد على الحالة التي أثبتناها إن أمكن، أما في المنهج الإيجابي فنقوم بإثبات صحة الفروض في كل الأحوال المتغيرة الممكنة، كما ذهب "فرانسيس" ليكون مثلاً المرايا القوية في تركيز ضوء الشمس بل ضوء القمر أو تركيز الحرارة في مصدر أرضي ، وذلك من خلال البحث عن علة الحرارة أو صورتها ، أي عند الانتهاء من وضع تلك الفروض نبدأ في تفسيرها من خلال المنهج المزدوج يقوم على جانبين إيجابي و سلبي و ذلك من التأكد من صحة تلك الفروض¹ .

¹ يبنى طريف الخولي، فلسفة كارل بوبر ، المرجع نفسه، ص62

1-2 المنهج العلمي المعاصر:

يقول "هايزينبرج": إن انتقال العلم من ميادين الخبرات السابقة الكشف إلى الميادين الجديدة لن يكون أبدا مجرد تطبيق ما هو معروف من القوانين على هذه الميادين الجديدة بل على العكس من ذلك إن لميدان الجديد حقلًا من الخيارات سيقود دائما إلى البلورة منهج جديد من المفاهيم و القوانين العلمية ، أي ان تكون قدرتها على التحليل المنطقي بأقل من قدرة المناهج القديمة¹، هذا معناه تكمن في مدى الحاجة الملحة لمنهج و طرائق علمية في البحث الجديد تتناسب ذلك القدر الهائل من المعلومات للظواهر التي تصدى لها العلماء.

إن منهج "كارل بوبر" لا يمثل كل المعاصرين فالاتجاهات المعاصرة الجديدة فأول ما نود أن نوجه إليه الأنظار أن المنهج الجديد يبدأ من حيث ينتهي المنهج التقليدي حيث يبدأ من تعميمات استقرائية لدى بعض العلماء من تقسيمات غير استقرائية لدى البعض الآخر ثم فرض مفسر ، و التفسيرات أو الفروض العلمية أي أن صورة عن المنهج العلمى كفى على ذلك مثال الفيلسوف "كارل بوبر" الذي ينفرد بتصوره بين علماء عصره بحيث يقول: >> إذا ظن أحدنا المنهج العلمى كطريق يقود نحو النجاح في العلم فسوف يخيب رجاءه ذلك أنه لا يوجد طريق ممكن للنجاح.

نعود إلى "كارل بوبر" الذي يعتبر من أهم فلاسفة العلم المعاصرين الذين قدموا لنا نقد المنهج في العلوم الطبيعية في ضوء الاتجاهات المعاصرة لأنه كما يقول "لاكاتوس" في المقال الذي كتبه عن "بوبر" في إطار الجزء الذي خصه "شيليب" لدراسة جوانب فكرة لأفكار بوبر أهم تطور حدث في فلسفة القرن العشرين².

¹ كارل بوبر، منطق الكشف العلمى، ترجمة ماهر عبد القادر، مركز الدراسات الوحدة العربية، دط، الإسكندرية، ص 93

² المرجع نفسه، ص 100

فيسهل علينا ملاحظة كتب "بوبر" ذات الطابع المنهجي منها: منطق الكشف العلمي المعرفة الموضوعية تتفق في أمر واحد وهو أنها تبدأ في العادة بمناقشة الاستقراء و تنتهي بنقده و تفنيده ثم يبدأ "بوبر" بعد ذلك في عرض منهجه فنحن نجده يفتتح مؤلفه القيم <<المعرفة الموضوعية>> بال تقرير التالي: "أعتقد أنني تمكنت من حل مشكلة الاستقراء و هذا الحل كان مثمراً مكنتني من حل عدد كبير من المشكلات الفلسفية الأخرى.

>>فقد حاول "كارل بوبر «التمييز بين القضايا العلمية و القضايا غير العلمية أو بصفة عامة الفصل démarcation بين العلم على وجه الحقيقة و العلم ، فلاحظ أن معيار التميز السائد هو الاستقراء، لما كان هذا الاستدلال الاستقرائي يعني الانتقال من قضايا مفردة أو جزئية تعبر عن نتائج الملاحظات و التجارب إلى قضايا كلية مثل الفروض و النظريات <<وهذا يعني عند "بوبر" أننا عندما نصوغ لأنفسنا استدلال القضايا الكلية إلى القضايا المفردة و هذا أمر منافي لموضوع.

هنا نطرح مشكلة الاستقراء التي تهتم بما إذا كانت الاستدلالات الاستقرائية مبررة فقد وضع "كارل بوبر" المشكلة و إجابته عليها في كتابه (المعرفة الموضوعية) على النحو الآتي: "هل يمكن تبرير الدعوى القائلة بأن نظرية ما كلية مفسرة صادقة أي بافتراض صدق قضايا اختيار أو قضايا ملاحظة معينة فإجابة على مشكلة كانت مثل إجابة "هيوم" تماماً، هنا ينبغي أن نعلم شيئاً عن تصور "بوبر" المنهج العلمي إذا يتناول نمو المعرفة و هما يشكلان بالطبع منهج البحث النقدي عنده و من المعروف أن صدق العلم من وجهة نظر "كارل بوبر" أن يقترب أكثر من الصدق و العلم هو الذي يستطيع أن يفعل ذلك عن طريق المنهج النقدي"¹.

¹كارل بوبر، منطق الكشف العلمي، تر ماهر عبد القادر، مركز الدراسات العربية الوحدة العربية، دط، ص33.

فقد نجد في تصوير كتابه حدوس و تنفيذاً *conjectures et réfutation* " يحمل ما يقصده بنمو المعرفة و يرى أن الطريقة التي تتقدم بها المعرفة بصفة عامة و العلمية بصفة خاصة يتم ذلك بواسطة تخمينات غير قابلة للتبرير و أيضاً عن طريق حلول اجتهادية مؤقتة غير نهائية لمشكلاتنا بالحدوس و ذلك بالاستعانة بتنفيذات تقوم على اختبارات وفي هذا الموضوع يقول "كارل بوبر" إننا نجد في الغالب الأمر على تخميناتها يمكن رفضها أو أنها لنا تحل مشكلاتنا على كامل. وهكذا ممكن القول أن معرفتنا تتموكلما تقدمنا من مشكلات جديدة و ذلك عن طريق حدوس و تنفيذات وذلك أنما رفض نظرياتنا أو برفض توقعاتنا.¹

وأن الرفض التام لنظرية ما هو دائماً خطوة إلى الأمام تدنو بالباحث من الصدق و هذا بين لنا كيف نتعلم من الأخطاء فكلما تعلمنا من الأخطاء كلما تقدمت معارفنا حتى ولو تعلم شيئاً بصورة يقينية فإذا تسألنا عن نمو المعرفة عند "كارل بوبر" و ما طبيعة هذا النمو ببساطة ".² يمكن القول أن "كارل بوبر" كان متأثراً إلى حد كبير بالتطورية و أن المعرفة الإنسانية ذاتها تعد جزءاً من عملية التطور فبعض خصائص المعرفة الإنسانية نجدها المعرفة الحيوانية متمثلة في التوقعات (الجينات) وهي نقطة البداية التي يشترك فيها الإنسان و الحيوان و التي اقترحها "كارل بوبر" بدلا من الاعتقاد و بعدها تميز الإنسان عن الحيوان كي يتم التقدم في التطورية باستئصال العناصر الطبيعية وذلك من خلال الضعف الذي تمارسه البيئة على الكائن الحي، فالمعرفة العلمية في رأي "كارل بوبر" تتقدم بفاعلية مع تقدم النظريات الأفضل.

1-3 خصائص المنهج العلمي:

التساؤل عن المنهج العلمي وقواعده و مدى حاجتنا إليه ترتبط إلى حد كبير بموقف كلي من مسألة نمو العلم و هذه العبارة البوبرية تبين مدى ارتباط مفهوم المنهج العلمي عنده ينمو

¹-المرجع نفسه، ص56

²-يمنى طريف الخولي، فلسفة كارل بوبر، الهيئة العامة للكتاب، دط، الإسكندرية، ص78

العلم وبارتباطه "كارل بوبر" القابلية للتكذيب كبديل استقراء لتمييز نظريات العلم عن غيرها فبعد رفضه للاستقراء كمنهج و مبدأ أشار أنه لن يتناول أي نسق علمي تناولاً إيجابياً كما هو الحال في التحقيق و في التبرير و يجب علينا أن نأخذ من الجانب السلبي لأن منهجه يتحقق من خلال التكذيب و تفسير ذلك يعود إلى أنه كلما كانت الحالات الجزئية المؤيدة للحكم مثال: "كل البجع أبيض"، ففي هذه الحالات الجزئية الواحدة تقر بوجود بجعة سوداء ومن هنا نستنتج منطقياً أن "ليس كل البجع أبيض" ¹

ومن هنا يقر "كارل بوبر" أن اللاتماثل هو ما يحكم العلاقة بين القضايا الجزئية فالقضايا المفردة لا يمكنها تبرير القضايا الكلية فكل ما يجب أن نفعله هو أن نكذبها. الدور الذي ينشأ عن هذا التصور حسب "كارل بوبر" هو أننا نصل إلى القضايا الكلية بالاستتباط و ليس بالاستقراء فبعد أن كانت القضايا الجزئية تجتمع لتؤيد و تبرز قضية كلية عن الاستقراء أصبح دور القضايا الجزئية تكذيب القضايا فقط و الدافع إلى هذا التصور البوبري أن النظريات العلمية تتصف بالعمومية لا تقف عند حد معين فلا يمكن التحقق منها اعتماداً على أي تراكم من البيانات المشاهدة بينما يمكن تكذيب النظريات تكديماً تجريبياً و ذلك عن طريق الأمثلة السالبة، فيرى "كارل بوبر" المعروف فسادها تحتوي على عدد كبير من الشواهد أو البيانات المؤيدة و هدف العلم هنا يتمثل في محاولة الاقتراب من القضايا الصادقة لا يتسنى له ذلك الاستبعاد و تكذيب القضايا².

1-4 طبيعة المنهج العلمي:

يصف "كارل بوبر" منهجه بأنه استنباطي يعتمد على التوصل إلى نتائج بطريق منطوق. البحث في مقابل منهج الاستقراء الذي يعتمد على البيانات و الوقائع الجزئية و في بيان

¹ المرجع نفسه، 144

² المرجع نفسه، ص 150

وجود التعارض بين المنهج الاستنباطي يشير "كارل بوبر" أولاً إلى التعارض بين الاستنباط والاستقراء¹ .

أي أنه بين لنا الاختلاف و التعارض بين المناهج فهو يناصر بالتميز التقليدي بين المذهب العقلي و التجريبي فمثلا نجد "ديكارت" الذي رأى و تصور العلوم جميعا في صورة أنساقاستنباطية و نجد الفيلسوف "فرانسيس بيكون" الذي سلك مسلك منالتجريبيين فقد تصور أن العلوم قائمة في جميع الملاحظات و استنتاج التخميناتمنها بطريق الاستقراء.

إن "هنري بونكارية" و"ديبردوهيم" يوافقان على رفض الاستقراء وعلى رفضها الاعتقادبان النظريات الفيزيائية تتألف من القضايا صادقة صدقاً أولياً إلا أنه يختلف معهما في اعتقادهم باستحالة وضع الأنساق النظرية موضع الاختبار التجريبي بحيث نجد أن "كارل بوبر" يرى أن بعضها قابل للاختبار و ذلك من حيث المبدأ فهي تركيبية و ليست تحليلية كما يذهبالأخر "بونكارية" إلى أنها معرفية و ليست مجرد أدوات كما يزعم دويهم و هذا يعني أن المنهج الاستنباطي البوبري له معناه الخاص المرتبط بنظرية في دور المنهج العلمي و معيار التأكيد و نمو المعرفة".²

1-5 قواعد المنهج العلمي:

قواعد المنهج تتمثل في تلك المعايير التي يسترشد بها العالم عندما يكون مشغولاً بالبحث أو بالكشف يقول "بوبر" وهي مثل قواعد الشطرنج بما أن هذه اللعبة لها قواعد تحكمها فكذلك العلم التجريبي قد يعرف بواسطة قواعده المنهجية.³ فالمنهج العلمي يعني صياغة مجموعة قواعد محكمة التي يؤدي إتباعها إلى اكتشاف قائمة على التنبؤ مثل ما هو في بالاستقراء و هنا يمكننا أن نشير إلى قول "أينشتاين" إنه ليس ثمن سبيل منطقي يفضي

¹يمنى طريف الخولى المرجع نفسه، ص150

² المرجع نفسه، ص152.

³كارل بوبر، منطق البحث العلمي، تر محمد البغدادي، مركز الدراسات الوحدة العربية، ط10، الإسكندرية، ص93

بنا إلى القوانين الكلية العامة و إنما سبيلنا إلى ذلك الحدس يعتمد على فرع من الشغف العقلي".

إلا أن ما يقدمه "بوبر" هنا يختبر من القواعد المنطقية البحتة في أنها قواعد تواضع عليها العلماء لكي تحكم ما يسميه "بوبر" مباراة أو خطة العلم في الكشف أنها قواعد خاصة لما يسميه "كارل بوبر" منطق الكشف العلمي، فاستعمال "كارل بوبر" لمفهوم مباراة تعبير دقيق لنمو المعرفة العلمية التي تخلو من أخبار مسبقة و "بوبر" يضع قاعدة كبرى تصبح بمثابة المعيار بالنسبة لبقية القواعد بحيث تأتي هذه القواعد مترابطة فيما بينها بالإضافة ارتباطها بمعيار التميز لا تخلو أي قضية في العلم من التكذيب.

أولاً: خطة العلم مباراة مفتوحة بلا نهاية: و ذلك من حيث المبدأ بحيث يميل إلى العلوم المفتوحة كما هو الحال بالنسبة للمجتمعات المفتوحة أي بحيث غير متوقف لا يعرف التوقف عند حد معين و منه نفهم بأن الذي يقرر في يوم ما أن القضايا العلمية لا تدعوا لأي اختبار و يمكن النظر إليها إلى أنها تحققت نهائياً<<وهذه القاعدة تمثل روح المنهج البوبري بحيث تنبها بأنه لا تنتظر من المناهج صدقا ثابتا و إنما أن خطة العلم تقدم نحو درجة أعلى من الصدق و ذلك من خلال التكذيب ما بين أيدينا من قضايا علمية عن قضايا أخرى أكثر صدقا.

ثانياً: إذا افترضنا فرضا ما و تمّ اختياره ثبت صلابته فلا يتسنى لنا أن نتخلى عنه دون تقديم سبب جيد لذلك على سبيل المثال فقد يكون السبب الجيد أن يستبدل فرضاً أكثر قابلية للاختبار بفرض آخر" إذا اقترح فرض و أختبر و أثبت جدارته فلا يجب طرحه دون تقديم السبب الجيد" إضافة إلى هذا هناك قواعد أخرى أشار إليها "كارل بوبر" في مواضع أخرى.

ثالثاً: لا تقبل النظرية العلمية التبرير لا التحقيق و أنها قابلة للاختبار وهذا هو معيار موضوعاتها و بوضوح "بوبر" «مدى حاجتنا لهذه القاعدة في كتابة "المعرفة الموضوعية"

حيث تنهض في مواجهة الوضعين و الاستقرائيينفي اعتمادهم على التبرير و التحقيق في التنبؤ بما يقع في المستقبل ذلك التنبؤ الذي يجعل النظرية التفسيرية تؤكد دائما أكثر ما تحتويه بالفعل من موضوعات التفسير¹.

رابعا:يقترحها "كارل بوبر" كبديل المبدأ العلمية الذي يعلن أنه لن يرفضه لكنه لن يقبله أيضاً و إنما يكتفي باستبعادها كمبدأ ميتافيزيقي أي معناه لا يجب أن تتخلى عن البحث عنالقوانين الكلية أو عن ترابط النسق النظري ولا أن تتوقف أبداً عن محاولة تفسير أي نوع منالحوادث التي يخضع للوصف تفسيراً علمياً و هذه القاعدة توجه الباحث العلمي في عمله و بيان ذلك عند بوبر أن القول بأن التطورات الأخيرة في الفيزياء تتطلب التنبؤ من هذه القاعدة و كل هذه القواعد مترابطة و يمكن استنباط قواعد أخرى منها و هي بمثابة وجهة نظر "بوبر" الفلسفية.

¹المرجع نفسه، 101

الوضعية المنطقية و موقف "كارل بوبر" منها:

الوضعية المنطقية هي مذهب على قدر عظيم من قوة الرأي وصلابة الحجة ووضوح الرؤية دعامته وسنده أقوى الدعامات' ألا وهي العلم الحديث وأقطاب هذا المذهب ذو ثقافة عالية عميقة و أصيلة بل إن معظمهم علماء ونجد مؤسس الجماعة "موريس شليك" الذي تحصل على شهادة الدكتوراه برسالة كان موضوعها انعكاس الضوء في وسط غير متجانس وكان هذا تحت إشراف عالم الطبيعة "ماكس بلانك" صاحب الكشوف الفيزيائي التي استحدثت الكلمات بوصفها وحدات للطاقة¹.

لذلك اصطنع شليك لنفسه لقب العالم الفيلسوف فقد كان شليك شارحا كبيرا له .

¹طريف الخولي، فلسفة كارل بوبر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1989، ص233

معايير الوضعية المنطقية :

العبارات ذات المعنى وهي عبارات التحليلية أي قضايا العلوم الصورية والقضايا التركيبية تقوم على الخبرة والعبارات التي تخلص من المعنى وهي تخرج عن هذين النوعين أي العبارات الميتافيزيقية فالوضعيون يطابقون بين المعنى والعلم لذلك لا بد أن يقتصر الحديث على نوعين من القضايا .

القضايا التحليلية هي قضايا العلوم الصورية بحيث تنحصر قيمة القضية داخل ذاتها فهي تحصيل حاصل شقها الأول لا يكون لها أي محتوى معرفي أو قوة إخبارية تصل إليها استنباطا نعرف صدقها وكذبها فقط بتحليل تحليليا منطقيا لغويا فإذا أوضح تحليل تحليليا منطقيا ،مثال المربع لديه أربعة أضلاع الشق الأول يساوي الشق الثاني هنا القضية صادقة لأن التحليل مجرد إثبات للهوية أي أنها مطلقة الصدق لأن صدقها يعتمد على الضرورة المنطقية فلا مجال لإطلاقا للخطأ.¹

القضايا التركيبية هي قضايا العلوم الطبيعية التي تنقل خبرا عن العالم الواقع من حولنا فهي إذن إخبارية ذات محتوى معرفي يصل إليها الاستقراء لخبرة الحواس و التحليل المنطقي لأمثال هذه القضايا يردها إلى سلسلة من القضايا الذرية أي القضية التي تشير إلى واقعة معينة من نقاط المكان إذا المرجع في قيمة الصدق أو الكذب هو خبرة الحواس ينبغي التحفظ فالصدق أو الكذب هو نسبي يستحيل إطلاقه.²

لقد أصبحت الفلسفة هي البناء المنطقي للغة فلقد اعتبروا أن الميتافيزيقا مجرد لغو فهم ضاقوا بعقم المشاهدة الميتافيزيقية التي بقيت ثلاثة و عشرين قرن بحيث خلفها أرسطو بينما

¹يمنى طريف الخولي،فلسفة كارل بوبر، المرجع سابق،ص237

²المرجع نفسه،240

تحقق من المباحث التجريبية¹ فاللغة الصورية هي اللغة التي حاول كار ناب أن يبني لها نسقا منطقيا ويضع قواعد الصياغة فيها . لاعتماد جميع العلوم على البروتوكول وهو عبارة تشير إلى المعطى أي المعطيات الحسية التي ترتبط بوجود كلمات مثل يرى ، يدرك .

نجد أن بوبر يخبرنا بأن الوضعية المنطقية لم تأتي بالجديد كما ظنت التحليلية عموما فقد أقاموا ثورة مذوبة في عالم التفلسف قلبت الدنيا رأسا على عقب أو بالأصح قلبتها فوق رأس الفلسفة حيث أدعوا أن المشاكل الفلسفية زائفة وان التحليل اللغوي منطقي .

¹محمد قاسم، نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي، دار المعرفة الجامعية، 1982، ص160

نظرية المعرفة:

لقد شهد القرن العشرون تطورات علمية دفعت بها مجموعة من النظريات و مفاهيم و تصورات فلسفة العلم، فقد كان "كارل بوبر" من معاصري هذا القرن فتاريخ بوبر من الناحية الفكرية هو صراع بين طرفي التراث الهائل الذي تركه له الأسلاف من جهة و مدى تقبله للجديد من هذا التراث فهو لا يناقش مسألة إمكان المعرفة فالمعرفة عنده قائمة بل يدور معظم إنتاجه الفكري حول موضوع المعرفة و كيفية تطورها فالحديث عن مصادر المعرفة يبدوه "كارل بوبر" من خلال كتابه «حدوس و تفنيدات» حيث يخطئ المذهب التجريبي الكلاسيكي عند "بيكون" و "لوك" و "باركلي" هل كما يخطئ المذهب العقلي عند "ديكارت" و "لينز" و يرى أن كلا من الملاحظة التي وردت عند التجريبيين العقليين لم يعد لهما نفس دورها القديم بل يؤدي كل من منهما دوراً جديداً أكثر تواضعاً و هنا نجد "كارل بوبر" يطرح تساؤلاً عن مصادر معارفنا التي نتلقاها.

إن أساس المعرفة هو التقليد سواء من الناحية الكمية أو الكيفية فبعيدا عن المعرفة الفطرية نجد أن معظم ما نعرفه من الأشياء قد تعلمناه بالأمثلة و بقراءة الكتب و بتعلم كيفية النقد و مراعاتنا للصدق فنجد أحد الفلاسفة يقول في هذا الصدد "النقد هو روح الفلسفة إذا خلت منه صارت كالعين الذي لا تبصر و اللسان الذي لا ينطق و الفؤاد الذي لا ينبض"¹. أي أنه لا يوجد للمعارف التي نتلقاها أهمية إذا لم تكون فيها النقد فهو جوهر الفلسفة، و الظروف التي مر بها "كارل بوبر" «جعلته تلميذاً "سقراط" فقد قال "بوبر" عن سقراط 470-399 SOCRAT» كان سيدي الذي علمنا كم هو قليل ذلك القدر الذي نعرفه و أن أي حكمة نتبعها ليست سوى إدراك يتعاضم مع مرور الوقت بما لدينا من جهل و لا حدود له"فتحصيل المعارف كاملة عند سقراط فبوبر لا يقصد بقوله أن معظم معارفنا تقليدي

¹كارل بوبر، نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي، تر محمد قاسم، كلية الآداب جامعة، دط، الإسكندرية، ص290

تعضيدا للاتجاه التقليدي حيث أن كل جزء من معرفتنا التقليدية معرفتنا الفطرية أيضا إلى عرضة للفحص النقدي فلا يمكن أن نتصور قيام معرفة دون تقليد أو نقل.

فقد رأى "كارل بوبر" أن المعرفة لا يمكن أن تبدأ من فراغ كاللوحه البيضاء التي قال بها "جون لوك" و لا يمكنها أن تبدأ من الملاحظة أن تقدم المعرفة يتمثل بصفة رئيسية في تعديل معارفنا المبكره لهذا فإن المصدر الرئيسي لجهلنا هو أن معرفتنا يمكن أن تكون محدودة فقط.

"إن منهج "كارل بوبر" يدفع بنا إلى حد كبير بما نجهله أكثر من الاهتمام بما نعرفه فما نعرفه صلب في جانب نستطيع أن نقف بثبات عليه و الجانب الآخر هو ما يتصل بالمجهول و يمكن أن نعطي مثالا متواضعا لتصور "كارل بوبر" عن المعرفة أنها في الجانب الظاهر منها عبارة عن خيوط تحاول أن تكون دقيقة الصنع أما و في الجانب الأعظم منها وهو الجانب الخفي بمثابة القطن هرمي الشكل.¹ أي أنه غير محدود و علم أننا يجب أن نتأكد أولاً بأن الخيوط نظيفة و مترابطة و أن عملية الغزل في تقدم مستمر وذلـك هو السبب أننا لا نعرف مقدارها من جهة ولأن انتهاء عملية تحصيل المعرفة.

و نجد موقف "كارل بوبر" من الموقف التقليدي أن علينا أن نتخلى من فكرة المصادر الأولية للمعرفة و علينا أن نقبل أن المعرفة جميعها إنسانية و أنها محملة أخطائنا و تخميناتها وأحلامنا و آمالنا هو أن كل ما يمكننا عمله هو أن نتلمس طريقنا نحو الصدق رغم أنه فوق استطاعتنا ولهذا يجب أن نحتفظ بفكرة فحواها أن لصدق يقع فيما وراء السلطة الإنسانية لأنه إذا ما وجدت هذه الفكرة لن توجد معايير للبحث لن يوجد مذهب نقدي.

¹ -يمنى طريف الخولى، فلسفة كارل بوبر، الهيئة العامة للكتاب، دط، الإسكندرية، ص256

"لقد أعطى" كارل بوبر "معنى بالدرجة الأولى منذ أن وضع أول كتبه بمشكلة نمو المعرفة حيث يرى أن المشكلة الرئيسية للأبستمولوجيا كانت و ما تزال متمثلة في تتجاوز الموضوعات التي ندرسها بصدد نمو المعرفة و نطلق المعرفة القائمة على الإدراك العام COMMON SENSE ولا سيما إذا كانت تتعارض في جانب منها مع المعرفة العلمية <<¹ معناه أن "بوبر" بلا شك اشتهر بالطريقة التي تتقدم بها المعرفة.

>> إن تمسك "كارل بوبر" بنمو المعرفة العلمية كنموذج لنمو المعرفة لا يعني تفوق فلسفته و منهجه عليها بل إنه في إطار نظرية الشاملة يرى أن أراء بهذا الصدد قابلة للتطبيق دون تغيير كبير على نمو المعرفة السابقة على العلم بمعنى انطباعها على الطريقة العامة التي تكتسب بها الأنسب معرفة واقعية جديدة عن العالم<>².

مما لا شك فيه أن تناول المعرفة العلمية كمبحث أساسي يتيح لبوبر نتائج طيبة عن المعرفة بصفة عامة و عن اللغة و التطور و المجتمع كما سنرى في الفقرات و الفصول لإنتاج إذانحصرت نظرية المعرفة في نطاق الإدراك العام.

¹-المرجع نفسه، ص278

2-- كارل بوبر، نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي، تر، محمد قاسم، كلية الآداب جامعة، دط، الإسكندرية، ص151

خلاصة

في ختام هذا الفصل يمكن القول أن فلسفة كارل بوبر تميزت بسمة علمية إضافة إلى روح العلم الخالص. ففلسفة بوبر علامة بارزة في تاريخ الفكر الإنساني لأنها جاءت لتعلن أن مناشط العلم و المعرفة و الحياة تكاد تتوقف إذا سادت النزعة التقليدية حياتنا مقرر أن كانت المعرفة الإنسانية ذات طابع ذاتي في الماضي أصبحت ذات طابع موضوعي في الوقت الراهن.

الفصل الثالث : أهم الدراسات النقدية عند كارل بوبر

توطئة

المبحث الأول: العلوم النظرية و العلوم التاريخية

المبحث الثاني: أثر منهج بوبر في الفكر الفلسفي

المبحث الثالث:المسؤولية و المستقبل

خلاصة

1- العلوم النظرية و العلوم التاريخية

في حدود معينة يصح القول بوحدة المنهج العلمي وهو القول الذي دافعت الآن عن تطبيقها إلى العلوم النظرية على التاريخية نفسها وذلك ممكن لنا دون الحاجة إلى التخلي عن التمييز الأساسي بين العلوم النظرية والعلوم التاريخية كالتمييز بين علم الاجتماع والنظرية الاقتصادية والنظرية السياسية من ناحية وبين التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي من ناحية أخرى وهو تمييز كثيرا ما ألح في توكيده بعض المؤرخين مرة بعد أخرى.¹

وهنا يرى كارل بوبر إن هذا هو التمييز بين الاهتمام بالقوانين الكلية وبين الاهتمام بالوقائع الجزئية وهنا يقول "وأنا أود الدفاع عن الرأي الذي هاجمه التاريخانيون كثيرا بوصفه رأيا عنى عليه الزمان. أعني الرأي القائل بأن" التاريخ يتميز بالاهتمام بالحوادث الواقعية المفردة المعينة بالقوانين أو القضايا العامة".²

أي بالنسبة لكارل بوبر التاريخ لا يهتم فقط بالوقائع الجزئية المفردة بل يعالج القضايا التي محور حولها التاريخ في صورة كاملة متكاملة. ويتضح هذا من خلال تحليل المنهج وخاصة تحليل التفسير العلمي ويرجع الأمر إلى انه بينما تهتم العلوم النظرية في العلمي الأكثر اكتشاف القوانين الكلية واختبارها، تسلم العلوم التاريخية تسليما بالكثير منا لقوانين كل نوع ثم توجه جل اهتمامها إلى اكتشاف القضايا المخصوصة واختبارها.³ الكلية من

"مثال ذلك أننا إذا وضعنا حادثا مفردا موضع التفسير فقد تبحت هذه العلوم عن الشروط الأولية الخاصة التي يمكن (باقترانها مع كثير من القوانين الكلية القليلة الأهمية أن تفسر الحادث الذي نطلب تفسيره أو قد تلجا إلى اختبار فرض خاص معين وذلك باعتباره يولف مع غيره من القضايا الخاصة مجموعة مقدمات تستنبط منها نبا جديدا قد يصف حادثا وقع

¹- كارل بوبر، عقم المذهب التاريخي، مرجع سابق، ص 182.

²- كارل بوبر، بؤس الأيديولوجيا، مرجع سابق، ص 175.

³- يمني طريف الخولي، فلسفة كارل بوبر، مرجع سابق، ص 94.

في الماضي البعيد وهذا النبأ تمكن من مواجهته بالبيئة الأمبيريقية التجريبية كالوثائق النقوش... الخ"

يعني هذا التحليل إن كل تفسير لأي حادث مفرد يمكن وصفه بأنه تاريخي ما دامت العلة يدل عليها بشروط أولية خاصة و هذا موافق للاعتقاد الشائع بان تفسير الحادث تفسيراً علياً يقوم في بيان كيف وقع ، و لم وقع اي انه يقوم في حكاية قصته و لكننا لا نهتم حقا بتفسير الحوادث الخاصة أو المفردة تفسيراً علياً إلا في التاريخ ففي العلوم النظرية تكون مثل هذه التفسيرات العلية في الأكثر وسائل لغاية مختلفة هي اختبار القوانين الكلية.

"وإذا كنا على صواب في هذه الاعتبارات فان الاهتمام الحار بالمسائل المتعلقة بالأصول و هو ما نجده عند بعض التطوريين و التاريخانيين الذين يحتقرون التاريخ بمعناه القديم و يريدون الارتقاء به إلى مرتبة العلم النظري هو اهتمام في غير موضعه ذلك أن المسائل المتعلقة بالأصول هي مسائل تختص بكيف و لماذا "أي ليست ذات أهمية نظرية نسبية و غالباً ما لا تكون لها إلا أهمية تاريخية محدودة"¹.

"وقد يحتج في معارضة هذا التحليل للتفسير التاريخي بان التاريخ يستخدم بالفعل القوانين الكلية على عكس ما يؤكد المؤرخون الكثيرون من أن التاريخ لا يتم البتة بمثل هذه القوانين و للرد على هذه الحجة نقول أن الحادث المفرد لا يكون لعله لحادث مفرد آخر - هو معلوله - إلا بالنسبة إلى قانون كلي "

"لكن هذه القوانين قد تكون من قلة الشأن حيث نعتبرها جزء من معارفنا المشتركة التي لا نحتاج إلى إيرادها و ينذر أن نلاحظها فإذا قلنا أن الحرق كان علة موت "جيوردانو برونو" «لم تكن بنا حاجة إلى التصريح بالقانون الكلي القائل بان الكائنات الحية كلها يصيبها الموت إذا تعرضت للحرارة الشديدة و لكن قانوننا كهذا كان مفترضا ضمنا في تفسيرنا العلي"²

¹-المرجع سابق، ص100

"هناك بالطبع من بين النظريات التي يفترض المؤرخ السياسي بعض النظريات الاجتماعية كالنظرية الاجتماعية في السلطة لكن المؤرخ يستخدم هذه النظريات ذاتها دون الشعور بها في غالب الأحوال. وهو يستخدمها في الأكثر لا لأنها قوانين كلية تساعد في اختبار فروضه الخاصة، بل تكون هذه النظريات متضمنة في الألفاظ الاصطلاحية التي يستعملها، فهو حين يتكلم عن الحكومات أو الأمم أو الجيوش يستخدم عن غير وعي منه النماذج التي يمد بها التحليل الاجتماعي العلمي أو التحليل الذي لا يكون قد ارتقى بعد إلى مرتبة العلم¹."

"إن العلوم التاريخية لا تنفرد تماما بموقفها تجاه القوانين الكلية، إذ يوجد ما يشبه هذا الموقف أينما صادفنا تطبيقاً فعلياً للعلم على مشكلة خاصة بشيء مفرد معين.

"يوضح هذا التحليل فيما اعتقد، بعض المنازعات المشهورة التي قامت بين بعض الباحثين في منهج التاريخ، فقد ذهبت جماعة من أصحاب المذهب التاريخاني إلى أن التاريخ لما كان لا يكتفي بتعداد الوقائع بل يحاول وصفها في نوع من الترابط العلي فواجهه أن يهتم بصياغة القوانين التاريخية، من حيث أن العلية في أساسها تقيد التعيين بواسطة القانون²."

"(...)" فهذا النوع من العلية هو الذي يهتم به التاريخ، وباستطاعتنا أن نبين الآن أن هاتين الخطأ، فالقوانين الكلية والحوادث الجماعتين كانتا معا على شيء من الصواب وشيء من المفردة ضرورية جميعا في كل تفسير علي، ولكننا إذا خرجنا عن نطاق العلوم النظرية وجدنا القوانين الكلية لا تحظى إلا بالاهتمام القليل في غالب الأحوال³. أي أن العلوم النظرية توجه جل اهتمامها إلى القوانين الكلية على غرار العلوم التاريخية.

"وإذا نظرنا إلى العلوم التاريخية في ضوء المقارنة التي عقدناها بينها وبين العلوم النظرية، تبين لنا صعوبة موقفها نتيجة إهمالها للقوانين الكلية، ففي العلوم النظرية تؤدي القوانين وظائف عدة منها أنها مركز الاهتمام الذي نصل به المشاهدات أو وجهات النظر التي

¹ -كارل بوبر، عقم المذهب التاريخي، مرجع سابق، ص188.

² -كارل بوبر، نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي، مرجع سابق، ص92.

³ -المرجع نفسه، ص93.

نسترشد بها في مشاهداتنا، ولكن لما كانت القوانين الكلية في التاريخ قليلة الشأن في أكثر الأمر، ولا يكون استخدامها عن وعي، فليس باستطاعتها أن تقوم بهذه الوظيفة، ولا بد من أن يضطلع بها شيئاً آخر".¹

"ومما لا شك فيه أن التاريخ مستحيل من دون وجهة نظر، فعلم التاريخ كالعلوم الطبيعية، يجب ألا يكون انتقائياً في اختيار وقائعه وإلا خنقه سيل الوقائع المجدية التي لا تربط بينها رابطة، ولا جدوى من محاولة تعقب العلل في الماضي البعيد لان وراء كل معلول عيني واحد نبدأ منه عدداً هائلاً من العلل الجزئية المختلفة، أي وراءه كثرة بالغة التعقيد من الشروط الأولية التي لا يحظى معظمها إلا بالقليل من اهتمامنا".²

أي انه لا مخرج من هذه الصعوبة، إلا أن نقصد في كتابة التاريخ إلى اتخاذ وجهة انتقائية نتصورها أولاً.

"يجب كتابة التاريخ الذي تهمننا كتابته، وهذا لا يعني تزيف الوقائع حتى تلائم الإطار الفكري الذي تصورناه أولاً، ولا يعني إهمال الوقائع التي لا نجد لها مكاناً في الإطار، بل يجب على العكس من ذلك أن نمتحن كل البنيات المتصلة بوجهة نظرنا امتحاناً مدققاً موضوعياً بمعنى "الموضوعية العلمية" ولكننا لا حاجة لنا إلى البحث عن كالصفات التي لا صلة لها بوجهة نظرنا". مثل هذه الطرق الانتقائية تؤدي في دراستنا للتاريخ وظائف مماثلة من بعض الوجوه للوظائف التي تؤديها النظريات في العلم، ولهذا السبب كثيراً ما فهمت على أنها نظريات. والحق أن هذه الطرق تحوي بالفعل بعض الأفكار النادرة التي يمكن وضعها في صيغة فروض قابلة للاختبار، وهي إما فروض خاصة أو كلية. لكن الغالب على هذه "الطرق" أو "وجهات النظر" التاريخية انه لا يمكن اختبارها أي أنها لا تقبل التنفيذ".

¹- عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، مرجع سابق، ص54.

²- المرجع نفسه، ص55.

2- أثر منهج بوبر في الفكر الفلسفي

"لقد تبنى كارل بوبر معيار التنفيذ أو القابلية للتنفيذ للتمييز بين العلم واللاعلم. حيث تكون نظرية ما علمية إذا كانت قابلة إن تحدد أمثلة من التجربة تبين كذبها. فالمعيار الذي وضعه بوبر لتمييز المعرفة العلمية التجريبية، أي معيار التكذيب أو بدقة أكثر معيار القابلية لإثبات الكذب وهذا المعيار هو صلب فلسفة بوبر فمعيار القابلية للتكذيب هو اقتراح مبدأ إذا خضع له نسق من الأفكار اعتبرناه علما تجريبيا طبيعيا أي يعطينا إخبارا ومحتوى معرفيا وقوة شارحة عن العالم التجريبي عن سائر العوالم الممكنة منطقيا.¹

فبوبر يزعم أن معيار القابلية للتكذيب هو المعيار الذي يميز كل هذا والذي يفرد نسق العلم التجريبي عن سائر الأنساق المعرفية الأخرى مهما كانت صورتها المنطقية.

2-1 في النظريات الفيزيائية:

"إن نظرية كل من أرسطاخوسو كوبرنيكوس بان الشمس هي مركز الكون نموذج على هذا المعيار. حيث كان فرضا جزئيا لا يمكن تصديقه في ذلك الوقت ورغم انه فرض كاذب، فقد الشمس ليست هي مركز الكون، وان حركة الأفلاك حولها ليست دائرية²، لكن فنذوا فكرة أن بوبر يقول صحيح انه فرض كاذب، لكن هذا لا يؤثر على جرأة الحدس الافتراضي ولا على خصوبته، فواحدة من أهم نتائجه هي أن الأرض لا تقبع في مركز الكون، وان لها على الأقل حركة يومية وحركة سنوية. ولا يزال هذا مقبولا حتى اليوم، ولكن ليس هذا هو مايعنينا،

¹خوني ضيف الله، المنهج النقدي عند كارل بوبر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة، جامعة الجزائر، 2006
²المرجع نفسه،

عن تحقيقه. فمابينها هو جرأة الفرض، وقد كان جريئاً لأن النظريات التي وإلا كنا يبحث ولكنها على أية حال نظرية قابلة للتكذيب أصلاً، فهي علمية كانت مقبولة في وقته".¹ كل أي اقتراح وجهة نظر إلى الكون جريئة وجديدة أسهمت إسهاماً عظيماً في تقدم العلم الحديث. "أما مع كبلر فنجد نظرية ذات قابلية للتكذيب أعلى، مضى إلى ما هو أبعد. فنظريته ميتافيزيقية قائمة إلى حد كبير على نظرية كوبرنيكوس بأن الأرض وجميع الكواكب الأخرى تدور حول الشمس مدارات دائرية، غير أن وجهة نظره أدت به إلى العديد من التشابكات التفصيلية الجديدة عن المظاهر البادية.² "ففي نظر بوبر هذه القوانين تمثل اقتراباً تقديرياً جيداً من الصدق، وإن كانت ليست صادقة تماماً كأية قوانين علمية. فبإمكاننا التوصل إلى مواطن الكذب فيها، غير أنها قابلة للاختبار والتكذيب. وبالطبع الحديث عن نظرية نيوتن بقوانينها الثلاث تمثل نظرية علمية على الأصالة وبما لا يدع مجالاً للشرح، فيمكن منها أن نستنبط القوانين التي تحكم حركة أي أجسام طالما لها سرعات معينة. وإذا لم تتحرك الأجسام على النحو الذي تنبأت به النظرية فهذا سيمثل تقييداً لها (...). خصوصاً أننا نسلم في فلسفة العلم المحدثة بأنه ليس ثمة ما يمنع الأجسام من أن تغير قوانين حركتها".³ فنظرية نيوتن أثارت القابلية للتكذيب فيما يتعلق باكتشاف كوكب نبتون. ربما لأن الاستقرائيون يصورون فيها حصناً منيعاً لهم. إن نظرية اينشتاين كانت هي نفسها التي جعلت بوبر يتوصل إلى فكرة معيار القابلية للتكذيب أصلاً فقد كانت نظرية بحثه وجريئة جداً تختلف في خطوطها العامة اختلافاً كبيراً عن نظرية نيوتن والتي كانت في وقتها صادقة "إن نظرية اينشتاين في غاية الجسارة فهي تعد انحرافاً ولا يستطيع أحد الخروج عنها وازحاً عن نظرية نيوتن رغم ما حققته هذه الأخيرة من نجاحات باهرة في الفيزياء لمدة طويلة. حيث ترى أن صدق نظرية لا يقرر أنها أصبحت علمية تماماً وإنما قابلة للتكذيب.

¹- بناصر البعزاتي، الاستدلال والبناء، دار الأمان، المركز الثقافي العربي، ص 104.

²- عادل مصطفى، مائة عام من التنوير ونصرة العقل، دار النهضة العربية، ط 1، 2002، ص 70.

³- المرجع نفسه، ص 86.

"إن فكرة العبارات المساعدة لا تخل إطلاقاً بمعيار القابلية للتكذيب لأن بوبر قد أوضح في كل المواضيع أن النظريات البحثية التي هي انساق كلية عمومية. تحتاج دائماً إلى فروض وتعريفات مساعدة، فبوبر لن يدعو إلى تكذيب النظريات كي يظل العلم سابحاً في الهواء ولكن لكي نتوصل لنظريات أفضل وإذا لم نتوصل إلى نظرية أفضل فإننا لا نملك إلا ما تبقى على النظرية، رغم علمنا بمواطن الكذب فيها".¹

2-2 في الميتافيزيقا:

إن نظريات الفلسفة الخالصة والميتافيزيقا غير قابلة للتكذيب ولا هي مطالبة بان تكون قابلة له، لا منطقياً ولا منهجياً. لذلك يقول بوبر: «إن عدم القابلية للتفنيد تدخل في صميم تعريف الميتافيزيقا والنظريات الفلسفية، فهي نشاط محدد بأنه ليس علماً وأنه متميز عن العلم، ولا يحاول أن يعطينا محتوى إخبارياً أو قوة تنبؤية عن وقائع العالم التجريبي، إنها تصورات عامة للكون تعين على فهمه أو على فهم جانب منه بغير تحديد ولا تعيين فتتخذ صورة القضايا اللاوجودية أصلاً إذا كانت ميتافيزيقية أو مثالية متطرفة»² ويضرب بوبر مثلاً على الصورة الأولى -الوجودية غير محددة- بحتمية كانط الميتافيزيقية التي ترى أننا لو عرفنا كل مقتضيات الحياة السيكولوجية، والحياة الفسيولوجية وأيضاً كل متغيرات البيئة، فسنستطيع التنبؤ بكل تفصيلات السلوك الإنساني وبنفس الدقة التي نتنبأ بها بخسوف القمر أو بكسوف الشمس.³ "فنحن لا نستطيع هذا التنبؤ بمستقبل السلوك حتى الآن فقط لأننا لم نعرف بعد كل مقتضيات وعوامل الحاضر، ويمكن أن نضع منطوق هذه النظرية على الصورة الآتية: يوجد وصف صادق لحالة الإنسان الحاضر يكفي تماماً في حالة ارتباطه بالقوانين الطبيعية الصادقة للتنبؤ بكل تصرفاته المستقبلية كما هو واضح فالنظرية تتخذ شكل القضية الوجودية غير المحددة وبالتالي غير القابلة للتكذيب في ذاتها أي بما هي غير محددة. ففي نفس

¹-يمنى طريف الخولي، فلسفة كارل بوبر، مرجع سابق، ص 429.

²- كارل بوبر، بؤس الأيديولوجيا، مرجع سابق، ص 59.

³-المرجع نفسه، ص 60.

السياق أيضا يرى بوبر أن ثمة قضايا فلسفية أكثر تطرفا ليست وجودية أصلا على رأسها النظرية المثالية التي ترى أن العالم التجريبي بأسره مجرد فكرة في الذهن أو حلم أو تصور¹.

"(...) الأبستمولوجيا اللاعقلانية التي انتشرت في الفلسفة الحديثة، خصوصا في القرن 18، فمنذ أن أوضح كانط أن العقل الإنساني غير قادر على استكناه الأشياء في ذاتها والفلاسفة لا يرون أمامهم إلا طريقين: 1- إما أن نتخلى تماما عن حلم استدعاء الأشياء في ذاتها. 2- إما أن نحاول معرفتها عن طريق آخر غير طريق العقل' وطالما أننا لا نستطيع التخلي عن هذا الحلم، فلا يبقى أمامنا إلا إتباع الوسائل اللاعقلية مثل: الغريزة، العاطفة أو الهام الشعراء «.هنا يعطينا بوبر مثالا عن فلسفة "ارثور شوبنهاور -1788-1860" التي سارت على هذه الحجة " (...) نحن إرادة' لكننا أشياء في ذاتها إذن فالإرادة بدورها يجب أن تكون هي الشيء في ذاته فشوبنهاور مثالي هاجم المذهب المادي وأكد انه من المستحيل حل اللغز الميتافيزيقي وكشف سر الحقيقة بفحص المادة أولا ثم فحص الفكر ثانيا، بل يجب أن نبدأ بما نعرفه مباشرة وعن كثب. أي يجب أن نبدأ بأنفسنا وعلى نهج الميتافيزيقيين في اعتبار العقل صورة الواقع "المثل تماما هو حال كل النظريات الفلسفية وثمة أمثلة أخرى واضحة يمكن أن ترد في هذا السياق. لأنها لا تعدو أن تكون صورا أخرى لمذهب الإرادة هذا عند شوبنهاور. «فليس صحيحا في رأي بوبر إنه متروك لوقائع في تاريخ الفلسفة كما يبدو بل الصحيح هو انه متخف تحت أسماء عدة هي موضوعات الفلسفة المعاصرة مثل فلسفة ينتشه والفلسفة العدمية عموما والفلسفة الوجودية على وجه الخصوص. فهي تقوم على أساس أننا بالملل والسأم نعرف أنفسنا بوصفنا لا شيء. فالأشياء في ذاتها هي الإرادة و هي الأخرى تماما منطوق اللاعقلانية لنا، فقضايا العلوم الزائفة يجب أن ننحيا جانبا و لا نفكر إطلاقا في أي رفض أو قبول لها أو مفاضلة بينها " ² وبالتالي يمكن القول إن بوبر بالذات

¹ - عمار طالبي، مدخل إلى عالم الفلسفة، دار الحكمة، ط1، قطر، ص225.

² - يمني طريف الخولي، فلسفة كارل بوبر، مرجع سابق، ص448.

الفيلسوف الذي يؤكد على أن الفلسفة الخالصة والميتافيزيقا من أهم مناشط العقل. فهو يشير إلى انه من أين لنا بالمعيار الذي يحكم هذا المنشط الهام وهو لا يقبل تعزيزا أو تكديبا أو تفاوتا في درجة القابلية للتكذيب التي توضح النظريات التي ينبغي أن نفضلها عن غيرها والنظريات التي نأخذ بها أو نتركها. "نعم يعرف بوبر النظريات الفلسفية على أنها غير قابلة للتفنيد، وهو يعاملها ويتفلسف على هذا الأساس، ولكن في بعض الأحيان يسيطر عليه نزوع الفلاسفة إلى التعميم والنظرة الكلية فيؤكد أن معيار القابلية للتكذيب يميز العلم ويحكمه في كل الأطوار حتى في الأطوار البدائية الأولى حيث نجد النظريات الفلسفية التي مهدت للنظريات العلمية. على سبيل المثال نظرية بارمينيدس، فهو لم يكن فيزيائيا كأسلافه الأيونيين على الأقل. غير أن بوبر يراه أب الفيزياء النظرية البحتة «¹2-3 في التحليل النفسي

"التحليل النفسي: هو مصطلح يطلق على نسق من النظريات السيكلوجية ومنهج لعلاج الاضطرابات العقلية العصبية. ويرتبط التحليل النفسي باسم الطبيب النمساوي سيغموند فرويد (1856-1939) فهو مؤسسه وإن أعقبه علماء آخرون أضافوا الكثير مما لم يقله فرويد وأيضا رفضوا الكثير مما قاله أما عن نظرية فرويد فتقوم على أن الشخصية تتكون م ثلاثة نظم أساسية".² "الأنا: يقوم بالتعاملات المناسبة مع العالم الموضوعي الخارجي متميزا عن الهو بأنه يفرق بينها وبين الأشياء التي توجد في العالم الداخلي فهو الجهاز الإرادي للشخصية الذي يسيطر على منافذ الفعل والسلوك.

¹ - كارل بوبر، درس القرن العشرين، مرجع سابق، ص74.

² حوني ضيف الله، المنهج النقدي عند كارل بوبر، مرجع سابق، ص

الأنا الأعلى: الممثل الداخلي للقيم للمجتمع والمثل العليا. الهو: هو نظام الشخصية ويتكون من كل ما هو موجود وموروث سيكولوجيا: كالغرائز ويسميه فرويد الواقع النفسي الحقيقي لأنه لا يتأثر بالدوافع المكتسبة".¹

فهنا بوبر حين ينقد يبذل قصارى جهده، ويتحامل بكل ثقله وبكل الأتقال الممكنة على موضوع النقد وعلى الرغم من سيطرة التحليل النفسي على المناخ العلمي في فيينا إبان نشأة بوبر فانه خالف تلك العادة ولم يبذل جهدا كبيرا في نقد نظريتي فرويد وإدлер بل اكتفى بالإشارة إلى أن المعيار لا ينطبق عليهما وأنهما ليسا علما ربما لأنهما أضعف وأقل من أن يستحقا أي نقد أكثر.

"فليس التحليل النفسي ولا علم النفس الفردي علوما على وجه الإطلاق وليس لهما من السمة العلمية أي نصيب، لأنهما ببساطة نظريات غير قابلة للتكذيب، وليس لهما أي فئة مكذبات محتملة، فليس ثمة أي سلوك إنساني يمكن أن يعارضهما"، وبالتالي إلا ويمكن تفسيره وفقا لمصطلحاتهايتين النظريتين".²

والمثال الذي يضره بوبر على هذا هو رجل يدفع بطفل إلى الماء قصد إغراقه ثم رجل آخر يضحى بحياته من أجل إنقاذ الطفل كل من هذين السلوكين المتناقضين يمكن تفسيره بنفس السهولة وفقا لمصطلحات نظرية فرويد وأيضا وفقا لمصطلحات نظرية إدلر.

"قبوبر لا ينكر أن فرويد و إدلر رأيا أشياء معينة صحيحة. وان بعضا مما يقولانه له أهمية ويمكن أن يطور بحيث يلعب يوما دوره في علم نفس قابل للاختبار والتكذيب كما تطورت بعض من النظريات الميتافيزيقية البارعة ولعبت دورها في الفيزياء القابلة للتكذيب «.³

وهنا نجد بوبر ينوه على أن اختلاف إدلر عن فرويد هو في صالح الإدلرية إذ تلاقى مواطن نقص خطير لفرويد حين أكد على أهمية النظر إلى الإنسان بوصفه كائنا اجتماعيا.

¹-عادل مصطفى، مائة عام من التنوير ونصرة العقل، مرجع سابق، ص90.

²-المرجع نفسه، ص91.

³-المرجع نفسه، ص94.

ومن أمثلة التحصينات المضادة للتكذيب:

1- التناقض الوجداني: بمعنى وجود شعورين متناقضين يختلجان في نفس المرء تجاه شيء واحد في وقت واحد. وهذا حق لا يمكن إنكاره كما يقول بوبر لكن علينا ألا نترك هذا المفهوم يتداخل مع كل شيء دون ضابط أو معيار وإلا تحول في النهاية إلى فرض عيني.

2- غريزة الموت: افتراض آخر قد يكون شديد المروعة في التطبيق مع غريزة الحياة ويشكلان تملصاً تاماً من التكذيب. فهو مفهوم يتميز بالغموض ولا يمكن أن نشق منه أي فروض تجريبية. وقد يعد ملجأً سهلاً لتفسير ما نعجز عن فهمه من ميول عدوانية أو غيرها.¹

3- تكوين رد فعل: وهو كذلك تناقض لا ينبغي أن يترك كأداة بسيطة لتفسير سلوك الإنسان لتكتمل به ما لم تكتمل من صور الشخصية. مثال إذا وجدت شخصاً تعرض لصدمة نفسية مرتبطة بالكلاب ولكن داهمتنا مشاهدات لأشخاص تعرضوا لنفس الصدمة لكنهم لا يخافون الكلاب بل يحبونهم. فما أسهل أن نلجأ إلى فرض مساعد يقول: «بعض الناس ممن يضرر مخاوف لا شعورية يستجيب تجاه هذه المخاوف بالإنكار واحتضان المواقف المخيفة».² قد يكون ذلك حقاً، لكن قد يتحول هذا إلى درع يحمي النظرية من التكذيب ويجعلها غير قابلة للاختبار العلمي. لأن السؤال يبقى مطروحاً ما هو المحتوى المعلوماتي للنظرية وماذا قدمت من تنبؤات محددة فهل هناك مشكل إذا كانت كاذبة.

2-4 في النظرية الماركسية

من أهم حصائل المعيار حصيلة تطبيقه على النظرية الماركسية، فهي أهم وأقوى النظريات الفلسفية التي وضعت من أجل الاشتراكية أي من أجل تحقيق نظام اقتصادي

¹ - كارل بوبر، المجتمع المفتوح وأعداؤه، مرجع سابق، 169.

² - يمني طريف الخولي، فلسفة كارل بوبر، مرجع سابق، ص 460.

اجتماعي عادل يقوم على الملكية العامة لوسائل الإنتاج منعا من استغلال أقلية من الملاك لأكثرية عاملة.

"ولعل أهمية النظرية الماركسية دونا عن سائر النظريات الاشتراكية والتي سميت بالاشتراكيات الطوباوية إنما تأتي مما تدعيه الماركسية من خاصية علمية فقد أراد كارل ماركس (1818-1883) أن يكون عالم التاريخ الذي يفهمه ويحلله فيستطيع أن يتوصل إلى القانون الحتمي الذي يحكمه والذي يمكنه بالتالي من التنبؤ بما سيكون تبعا لطبيعة العلم ووظيفته وكما هو معروف اصطنع ماركس المادية الجدلية ليصل إلى القانون التاريخي الذي ارتآه يحكم التاريخ"¹.

فبوبر لا ينكر أن ماركس من أعظم أقطاب الفكر البشري وانه حاول أن يكون ملخصا بتطبيق المنهج العلمي العقلاني على أكثر مشاكل الحياة العلمية إلحاحا نجح إلى وكونه لم ينجح إلى حد كبير فان ذلك لا يلغي قيمة محاولته. «فبوبر يؤكد انه لا يمكن أن يوجد أي علم اجتماعي قبل ماركس وأن جميع الكتاب المعاصرين وهو منهم يدينون لماركس حتى وإن لم يشعروا بذلك»².

"فماركس تميز بعقل مفتوح وإخلاص نادر وأن رغبته كانت متأججة لمساعدة المقهورين. فبذل خلاصة حياته قولاً وفعلاً من أجل تحسين أحوالهم وكان اهتمامه عظيمًا بالفلسفة والعلم الاجتماعيين، إلا أن بوبر مع تسليمه بهذا انهال على النظرية الماركسية بنقد قاس وعنيف من كل صوب وحذب فلم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا وفندها بالبراهين المنطقية المسهبة والمناقشات الفلسفية المطولة الدقيقة المثالية وقد يبدو غريبا أن نعرف أن نقد بوبر للماركسية يتضاءل بجواره وينقده للاستقراء أو حتى للوضعية المنطقية والفلسفة التحليلية اللغوية"³.

¹-كارل بوبر، عقم المذهب التاريخي، مرجع سابق، ص182.

²-عبد الله العروي، ثقافتنا في ضوء التاريخ، مرجع سابق، ص 130.

³-خوني ضيف الله، المنهج النقدي عند كارل بوبر، المرجع سابق، ص5.

فلقد رأى فيها بوبر أنموذجاً للمنهج التاريخي أي الذي يرى أن التاريخ يسير في مسار محتوم يمكن قولبته في مراحل أو أنماط أو إيقاعات ومن تم يمكن التنبؤ به. (...). رأى بوبر أن الإصلاح مثل النقد يجب أن يكون جزئياً مرحلياً قائماً على أساس هندسة اجتماعية جزئية تتعامل مع المؤسسات الاجتماعية كل على حدة بل وكل من مشكلات المؤسسة الواحدة على حدة بالأسلوب الذي يناسبها هي وليس بأسلوب كلي محدد سلفاً¹

"ولما كان ماركس مجرد مفكر تاريخي فلم تتضمن نظريته أي تكنولوجيا اجتماعية ولينين نفسه أعلن أن الحزب الشيوعي بمجرد أن تولى السلطة لم يجد في النظرية الماركسية أية تكنولوجيا أو خطط للإصلاح الاجتماعي فكل بحوث ماركس الاقتصادية كانت مكرسة لخدمة نبوءته التاريخية بل وأكثر من هذا فإن ماركس نفسه قد أكد تأكيداً على التعارض بين منهجه وبين أية محاولة لإقامة تحليل اقتصادي يهدف إلى التخطيط العقلاني لحل المشاكل الجزئية".²

فلقد راح بوبر في مناقشات مطولة ينقد الفكر اليوتوبي الذي يعني تصور نهاية العالم وخاتمة تطوره ويوضح ما يقف أمامه من استحالة منطقية ونقد أيضاً الدعوة إلى العنف الدموي التي مجدتها الماركسية ويوضح أيضاً استحالة النقاء العقلانية التي تعني الاعتراف بالوقوع في الخطأ مع الدعوة إلى العنف والتضحية بجيل الثورة من أجل أجيال لم تأت بعد وقد لا تأتي. "كما نقد بوبر أيضاً نظرية فائض القيمة وأوضح أنها خاطئة تماماً تغفل عوامل أساسية في الإنتاج وفي قوانين البيع والشراء وعلى الرغم من الرأي الشائع بأنها أهم نظريات ماركس فإن بوبر حللها تحليلاً يوضح أنها لا ضرورة لها على الإطلاق وإن الماركسية تصبح أقرباً لفضل لو حذفنا نظرية فائض القيمة منها وأساس كل هذا نقده للقيمة العلمية الماركسية ومنطقها المادي الجدلي".³

¹-المرجع نفسه، ص154.

²- يمنى طريف الخولي، فلسفة كارل بوبر، مرجع سابق، ص452.

³- كارل بوبر، عمق المذهب التاريخي، مرجع سابق، ص190.

وباختصار شديد نقد بوبر الماركسية نقدا مدمرا من كل موضع وزاوية يمكن منها النقد وليس من السهل أن يدرس أحد نقد بوبر للماركسية ويظل على اقتناع بمبادئها أو حتى على تعاطف معها لذلك يرى الماركسيون فيه أبرز واهم نقاده المعاصرين.

"إن منطق التكذيب يعلمنا أن مثالا واحدا نافيا أهم من ملايين الأمثلة المؤيدة فما بالناس لو كان الأمر مثالا واحدا مؤيدا في مقابل العديد من الأمثلة المكذبة أي أن النتيجة المنطقية التي يجب أن ننتهي إليها هي أن تنبؤات ماركس كاذبة، وبالتالي تكون نظريته خاطئة ومحاولته العبقرية لأن يستخلص المستقبلية من الوقائع المعاصرة له قد فشلت والسبب الأساسي في هذا هو عقم المذهب التاريخي الذي اتبعه ماركس".¹

لذلك يمكن القول إن معيار القابلية للتكذيب هاهو ذا يقدم حجة جديدة تضاف إلى حجج بوبر الكثيرة على عقم المذهب التاريخي وقبل هذا يقدم أقوى واهم نقد للماركسية.

"فالماركسيون المتطرفون أنفسهم يعترفون انه قد أصبح من الواضح الآن أن بوبر على حق تماما حين يسمي النظرية الماركسية بأنها عقيدة دوجماتيكية مقواة فقد كانت علمية غير أن كذبها قد تبث والتكذيب يرمي إلى استئصال النظريات الكاذبة ونبذها باكتشاف مواضع الكذب والضعف فيها.

"إن الماركسية بما هي علمية نظرية كاذبة وإذا شاء أنصارها فيمكنهم الانصراف عن العلم وعن السمة العلمية وحينئذ لن يستطيع معيار القابلية للتكذيب التطاول على نظريتهم وسيسقط كل النقد السابق، وسنعتبرها نظرية فلسفية مجرد تأويل للتاريخ وتصور يوتوبي لمستقبل البشرية ولا تتطوي على علاقة ضرورية منطقية بالواقع وبالتالي لا تتطوي على أي إلزام بالأخذ بها كي نفهم هذا الواقع وتصبح فقط محلا للنقاش النقدي الفلسفي".²

لقد كانت النظرية الماركسية محاولة لعلمنة التاريخ ولم تتجح لعلها نجحت في أن تكون أقدر نظرية فلسفية طرحت حتى الآن لوضع إيديولوجية عامة للنظم الاشتراكية خرجت فلعلها

¹-المرجع نفسه، ص191.

²-المرجع نفسه، ص195.

النظرية الفلسفية الوحيدة التي خرجت إلى عالم التطبيق الفعلي ولكنها لم تتجح في وضع نظرية علمية للتاريخ.

3- المسؤولية والمستقبل

"التاريخانية خطأ من أقصاها إلى أقصاها يرى التاريخاني أن التاريخ مثل مجرى الماء مثل النهر الجاري ويعتقد أنه يستطيع أن يتوقع أين يمر الماء يعتقد التاريخاني أنه أكثر ذاكأنه يرى الماء ويتصور أو يتخيل أنه بإمكانه أن يتكهن بالمستقبل. هذا الموقف على المستوى الأخلاقي خاطئ كلية بإمكاننا أن ندرسالتاريخ كما نشاء لكن هذه الفكرة الخاصة بالنهر ليس أكثر مجاز ولا علاقة لها بالواقع وبالحقيقة «¹. يرى كارل بوبر أنه يمكننا أن ندرس ما مضى لكن ما مضى انتهى وانطلاقاً من هنا فإنالسنا في المستوى الذي يسمح بالتنبؤ بأي شيء كان وبالتالي نتابع الاتجاه علينا فقط ببساطة أن نتحرك وأن نحاول جعل الأشياء أفضل وأحسن.

¹ كارل بوبر، درس القرن العشرين، مرجع سابق، ص70.

"ف اللحظة الحاضرة هي اللحظة التي انتهى فيها التاريخ وليس بمقدورنا أن ننظر إلى المستقبل ونحن نعتقد أنه بإمكاننا أن نتكهن به بفضل المجرى أو الاتجاه كأن نقول: "كنت أعرف أن المجرى سيمر من هنا".

إنني سعيد لأن الأشياء حدثت كذلك ولكن لا أشعر بالسعادة لأنني استطعت أن أعرف خلال هذا الوقت أين يكمن الخلل يجب الآن التفكير فيما يجب أن نفعله وأن نبحتعما هو أفضل وما هو واجبنا فما فات قد فات".¹

يمكننا بالتأكيد أن نستخلص العبر والدروس ولكن لا يجب أن نقوم بإسقاطات من أجل اتساق المستقبل أريد أن أقول إن كل الذين رأوا الآثار الفنية الكبرى في الماضي مثل: آثار مايكل أنجلو سيعتبرون أن الفن في حالة تدهور وانحطاط هذا مؤكد فلماذا الآن كل الفنانين يخلقون من حوله ويحاولون أن يصبحوا رقم واحد في المستقبل إنهم يسمعون بكيفية ما "التاريخانيون الذين يتحدثون عما سيقع في المستقبل ويحاولون متابعة الاتجاه أو المجرى بدلا من أن ينتجوا أعمالا قيمة في الوقت الحاضر والأكثر من هذا أنهم مهتمون بأنفسهم أكثر من اهتمامهم بنوعية عملهم وأيضا يضعون للأنبياء السيئين والفلاسفة السيئين الذين يحاولون التكهن بالمستقبل".²

فيرى كارل بوبر أن الثورات التكنولوجية يعطيها كمثال فكرة غبية لأنها محاولة لاستكشاف التاريخ في حين أن خاصية التاريخ هو أنه دائما يضعنا أمام ثورة غير منتظرة وغير متوقعة كثورة الإلكترونيك.

يرى أيضا أن «الاعتقاد بتطور التاريخ خطأ فكري فلا حاجة لنا بمعنى التاريخ يمكن لنا أن نعجب بالتاريخ لأنه غني بالأحداث التي ستسحق الإعجاب وبأشخاص رائعين ويمكن أن يعلمنا ما يجب أن نخاف منه ومن بين الأشياء التي يجب أن نخاف منها هنالك ما سنسميه بمعنى التاريخ لأنه يزعج بنا دائما في اتجاهات خاطئة".³

¹ المزج نفسه، ص 71.

² كارل بوبر، بحثا عن عالم أفضل، تر أحمد مستجير، مهرجان القراءة للجميع، الأعمال الفكرية، ط1، الإسكندرية، 1999، ص 229.

³ كارل بوبر، عقم المذهب التاريخي، مرجع سابق، ص 162.

المستقبل مفتوح إنه متعلق بنا جميعا ومتعلق بما تفعله وأفعله ويفعله غيرنا من الناس اليوموغدا وبعد غد وما تفعله وما سنفعله متصل بالآخر بفكرنا ورغباتنا وآمالنا وتخوفاتنا بتعبير آخر إنه متصل برؤيتنا للعالم وبحكمنا وتقديرنا للإمكانيات الكبيرة والواسعة والمفتوحة التي يحملها لنا المستقبل".¹

"مما يعني أن علينا مسؤولية كبيرة وتعظم عندما يعي الحقيقة التالية نحن لا نعرف شيئا أو في أحسن الأحوال نحن نعرف القليل من الأشياء بحيث نضطر إلى تقديرها بأنها لا شيء مقارنة بما يجب معرفته حتى نتخذ القرارات الصائبة"²

"إن المحدثين من أصحاب المذهب التاريخي لا يدركون فيما يبدو قدم مذهبهم فهم يعتقدون أنهم لا يمكن في خيار لهم في هذا النتيجة لتأليهم كل جديد بأن المذهب التاريخي في صورته التي يأخذون لها هو آخر ما حققه العقل البشري من نتائج أكثر جرأة وأن هذا العمل باهر في جدته لا يقوى على إدراكه إلا القليلون بل يعتقدون أنهم هم الذين اكتشفوا مشكلة التغيير وهي من أعرق المشكلات التي تناولتها الميتافيزيقا النظرية".

إنها لا تزال جماعة متعينة من أفراد متعنين يرتبط كل منهم بالآخر ليس عن طريق علاقات اجتماعية مجردة فحسب كتقسيم العمل وتبادل السلع وإنما عن طريق علاقات فيزيقية متعينة كالشم واللمس والرؤية».³

فعلى الرغم من أن مجتمعا كهذا قد يكون قائما على العبودية إلا أن وجود العبيد لا يحدث مشكلة بالضرورة تختلف في الأساس عن تلك التي تحدثها حيوانات مروضة ومع ذلك فثمة مظاهر منقوصة تجعل من المستحيل تطبيق النظرية العضوية بنجاح على مجتمع مفتوح. والمظاهر التي اعنيها ترتبط بحقيقة انه في مجتمع مفتوح يكافح أعضاء كثيرون من اجل الصعود الاجتماعي واحتلال أمكنة أعضاء آخرين.

¹ يميني طريف الخولي، فلسفة كارل بوبر، مرجع سابق، ص461.

² المرجع نفسه، ص462.

³ عيد الله العروي، ثقافتنا في ضوء التاريخ، مرجع سابق، ص12.

وقد يؤدي هذا على سبيل المثال إلى ظاهرة اجتماعية هامة كالصراع الطبقي ولا يمكننا أن نعثر على أي شيء شبيه بالصراع الطبقي في مجتمع عضوي إذ أن خلايا وأنسجة الكائن الحي التي يقال إنها أحيانا تنطبق على أعضاء الدولة قد تتنافس على طعام»

وهذا يعني انه ليس ثمة ميل متأصل في عضو السيقان يسعى إلى أن يصبح الدماغ أو الأعضاء الأخرى للجسم أن تصبح البطن لان لا شيء في الكائن العضوي يناظر واحدة من أكثر الخصائص أهمية للمجتمع المفتوح.

وهذا يعني أيضا المنافسة على المكانة بين أعضائه فما يسمى بالنظرية العضوية للدولة تستند إلى مماثلة باطنية (...). أما المجتمع المغلق من ناحية أخرى فلا يعرف الكثير عن هذه الميول فمؤسساته بما في ذلك طوائفه لا تمس أنها محرقات.

وكذلك فالنظرية العضوية هنا تجد مكانا فليس من الغريب أن نجد أن معظم محاولات تطبيق النظرية العضوية على مجتمعنا ليست سوى أشكال مقنعة من الدعاية للعودة إلى العصبية القبلية.

يريد بوبر الوصول بنا إلى أن "المجتمع المفتوح نتيجة لفقده السمة العضوية يمكن أن يصبح في درجات ما مثلما يسميها «المجتمع المجرد» إذ يرى في نظره إلى انه يفتقد إلى حد كبير يريد بوبر الوصول بنا إلى أن المجتمع المفتوح نتيجة لفقده السمة العضوية يمكن أن يصبح في درجات ما مثلما يسميها «المجتمع المجرد» إذ يرى في نظره إلى انه يفتقد إلى حد كبير سمة انه مجتمع متعين أو جماعة حقيقية من البشر أو نظام من هذه الجماعات الحقيقية".¹

¹ كارل بوبر، المجتمع المفتوح وأعداؤه، مرجع سابق، ص 169.

خلاصة

في ختام هذا الفصل يمكن القول بان كارل بوبر كان فيلسوف العلم و الفلسفة بامتياز فقد تطرقنا إلى المعيار الذي اسماه بمعيار القابلية للتكذيب و الذي طبقه في كل من التحليل النفسي النظرية الماركسية و في النظريات الفيزيائية كما عالج أيضا مفهوم التاريخانية في منظورها الواسع كما قام بنقد التاريخية حيث يقول "علينا أن نكون لا حتميين و ان نفهم كيف يتأثر الناس بأشياء مثل الأهداف و الغايات و القواعد أو الاتفاقيات و كيف ينقادون إلى هذه الأشياء" نظرية المعرفة.

خاتمة

يعد كارل بوبر من أهم النوابغ التي أنجبتها البشرية في الفكر الغربي المعاصر، موضحاً بذلك تأملاته حول الاكتشافات العلمية، كما تعتبر فلسفته تصويراً صادقاً إلى حد بعيد للتطورات التي دخلت على الفلسفة في القرن العشرين ونعني بهذه التطورات التي تنتمي إلى نتائج العلوم الطبيعية وخاصة الفيزياء.

فبعد أن كانت المعرفة الإنسانية ذات طابع ذاتي في الماضي كانت أيضاً المعرفة العلمية تعد نوعاً من الاعتقاد الإنساني الراسخ وذلك طوال الأبيستمولوجيا التقليدية منذ "أرسطو" إلا أن قال بوبر بنظرية فريدة تخلصت من النزعة التقليدية في مصادر المعرفة وركزت على فحص المعرفة بنقدها أكثر من البحث في مصادرها، وتمثلت المعرفة عنده في عالم المعرفة الموضوعية الذي انعكست فيه كافة الملامح الميتافيزيقية والتي تحفظ تجاهها و إن لم ينكر وجودها .

كما قال بمفاهيم جديدة كالتقابلية للتكذيب و التعزيز وهذا يوحي إلى قدرة بوبر على تجاوز من سبقه من الفلاسفة و الأبيستمولوجيين في الإبداع و قام بنقد حتمية التاريخ فلسفة بوبر و علامة بارزة في تاريخ الفكر الإنساني، لأنها جاءت لتعلن أن نشاط العلم و المعرفة و الحياة تكاد تتوقف إذ سادت النزعة التقليدية .

لهذا نجد أن بوبر قد اهتم بالتغير الاجتماعي بجميع أنواعه و قد أصر على ضرورة الاعتراف به، فقد أسس من خلاله نظرية في فلسفة العلم مفادها أن النقد يميز العلم ان الأفكار البشرية الأخرى، لهذا فقد درس بوبر التاريخ اليوناني و تاريخ العلم وذلك ليبرهن على صحة و صدق أقواله في فلسفة العلم و الفلسفة الاجتماعية .

و لا يسعنا في النهاية إلا أن نختم حديثنا بما كان بوبر يتصوره عن التاريخانية باعتباره ميزة لجميع النظريات التي تطمح بكشف قوانين التغير الاجتماعي

المصادر والمراجع:

قائمة المصادر :

- 1/ كارل بوبر، بحثا عن عالم أفضل، تر، أحمد مستجير، مهرجان القراءة للجميع، ط1، الإسكندرية، 1966
- 2/ كارل بوبر، بؤس الإيديولوجيا، تر، عبد الحميد صبرة، دار الساقى، ط1، الإسكندرية، 1992.
- 3 / كارل بوبر، درس القرن العشرين، تر، زاوي بغورة، لخضر مذبح، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، الجزائر، 2008.
- 4 / كارل بوبر، عقم المذهب التاريخي، تر، عبد الحميد صبرة، النشأة دار 1. المعارف، ط1، الإسكندرية، 1959.
- 5/ كارل بوبر منطق الكشف العلمي، ترجمة ماهر عبد القادر، دار المعرفة الجامعية، دط، 2006.
- 6/كارل بوبر، منطق البحث العلمي، تر، محمد البغدادي، مركز الدراسات الوحدة العربية، ط10، بيروت، 2006

قائمة المراجع :

- 1/ بناصر البعزاتي، الاستدلال والبناء، دار الأمان، المركز الثقافي العربي.
- 2/ بورون و بوريكو، المعجم النقدي لعلم الإجتماع، تر، سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.
- 3/ يمنى طريف الخولي، فلسفة كارل بوبر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1989.
- 4/محمد مهران رشوان، مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة للنشر و التوزيع، ط2، القاهرة، 1943

- 6/ محمد محمد قاسم، كارل بوبر نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي، دار المعرفة الجامعية، ط1، الإسكندرية، 1986.
- 7/ انتوني غدنز، علم الاجتماع، ترد د.فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، ط4، بيروت، 2005.
- 8 / د، زهير احمد، علم الإجتماع الأسري ، جامعة المالك فيصل ، دط، 2009
- 9/ مصطفى الخشاب، دراسات في علم الإجتماع، مركز البحوث و الدراسات الاجتماعية، ط2، القاهرة، 2003.
- 10/ عبد الله العروي، ثقافتنا في ضوء التاريخ، المركز الثقافي العربي، ط4، المغرب، 1997.
- 11/ عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، المفاهيم و الأصول، المركز الثقافي العربي للنشر، ط4، المغرب، ، 2005.
- 12/ عادل مصطفى، مائة عام من التنوير و نصره العقل، دار النهضة العربية، ط1، 2002.
- 13/عمار طالبي، مدخل إلى عالم الفلسفة، دار الحكمة، ط1، قطر، النهضة العربية، ط1.
- 14/ علي قيم علم التاريخ و التاريخانية، عدد 624، دار المعرفة، 2015
- 15/ فريدريك هيجل، العقل في التاريخ، مج 1، تر: إمام عبد الفتاح، دار التنوير للطباعة و النشر، ط3 بيروت، 2007.
- 16/ رأفت غنمي الشيخ، فلسفة التاريخ، دار الثقافة للنشر و التوزيع، د ط، القاهرة، 1988،

قائمة الموسوعات :

1/ بدوي عبد الرحمان، الموسوعة الفلسفية، ج 2، المؤسسة العربية للطباعة و النشر والتوزيع 1984.

2/ زكي نجيب محمود، الموسوعة الفلسفية المختصرة، دار القلم بيروت، لبنان.

قائمة المعاجم :

1/ جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، د ط، بيروت، 1982،

2/ مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة و النشر و التوزيع، د ط القاهرة، 2007.

3/ محمد يعقوبي، معجم الفلسفة أهم المصطلحات و أشهر الأعلام، دار الكتاب الحديث، ط2 الجزائر، 2010.

قائمة المذكرات:

1/خوني ضيف الله، المنهج النقدي عند كارل بوبر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة، جامعة الجزائر، 2006.

كارل بوبر: حياته و مؤلفاته

ولد الفيلسوف كارل بوبر بفيينا سنة 1902 من أبوين ينحدران من أصول يهودية اعتنق المسيحية اللوثرية في سنة 1919 انخرط في جمعية مدرسة الطلبة الاشتراكيين الشيوعيين لكنه غادرها بعد شهور قليلة نال شهادة الدكتوراه سنة 1928 بإشراف كارل بوهلر. وفي سنة 1934 نشر كتابه الرئيسي الذي حقق له شهرة كبيرة و هو منطق الكشف العلمي وفي سنة 1937 غادر النمسا باتجاه نيوزلندا و ذلك تحت ضغط النازية و في سنة 1944 نشر كتابه السياسي الهام :المجتمع المفتوح و أعداؤه عين سنة 1947 أستاذا للمنطق ومناهج العلم في كلية لندن للاقتصادو منحه ملكة بريطانيا سنة 1965 لقب " السير "نشر سنة 1972 كتابه " المعرفة الموضوعية " و ظهرت الطبعة الأولى لأجزاء صميمة منطق الكشف العلمي سنة 1982 و منها : الواقعية و هدف العلم الكون المفتوح دفاعا عن الاحتمية و نظرية الكوانتا و الاختلاف في الفيزياء نشر سنة 1993 درس هذا القرن درس القرن العشرين و توفي في 17 سبتمبر 1994¹

¹ - كارل بوبر، درس القرن العشرين، تر، زواوي بغورة، دار العربية للعلوم، الجزائر، 2008، ص70

أهم مؤلفاته

كارل بوبر، عقم المذهب التاريخاني، تر، د. عبدالحميد صبرة ، منشأة المعارف،

الإسكندرية، بيروت، لبنان 1992

كارل بوبر، منطق الكشف العلمي، تر، د. ماهر عبد القادر محمد علي، دار المعرفة

الجامعية، يتكون من ثلاث أجزاء: المذهب الواقعي و هدف العلم، العالم المفتوح،

و قد ترجم هذا الكتاب من قبل محمد البغدادي، 2006

كارل بوبر بحثا عن عالم الأفضل ، تر، أحمد مستجير، مهرجان القراءة للجميع، ،

الإسكندرية، 1966

كارل بوبر، بؤس الإيديولوجيا، تر، عبد الحميد صبرة، دار الساقى، ، الإسكندرية، 1992.

فهرس المصطلحات

Irrationalité épistémologie	الأبستمولوجيا اللاعقلانية
Volontarisme	الإرادة
Utopisme socialiste	الاشتراكيات الطوباوية
Ego	الأنا
Suprême ego	الأنا الأعلى
Histoire	التاريخ
Historique	التاريخية
Historisme	التاريخانية
Expérience	التجربة
Psychanalyses	التحليل النفسي
Intuition par défaut	الحدس الافتراضي
Matérialisme dialectique	المادية الجدلية
Marscime	الماركسية
Society fermée	المجتمع المغلق
Open society	المجتمع المفتوح

Connaissance scientifique expérimentale	المعرفة العلمية التجريبية
Standard	المعيار
Scientifique de la méthode	المنهج العلمي
Théorie organique	النظرية العضوية
Pneu	الهو
Réfutation	تفنيد
Sociologie	علم الاجتماع
La science expérimentale	علم تجريبي
Philosophie de l'histoire	فلسفة التاريخ
Philosophie linguistique analytique	فلسفة تحليلية لغوية
Philosophie des sciences	فلسفة العلم
Règlements	قوانين
Standard réfutation	معيار التفنيد
Théorie	نظرية
Théorie idéalisme	النظرية المثالية
Épistémologie	نظرية المعرفة
Point du vue	وجهة نظر

فهرس الأعلام

Ibn khaldoun	ابن خلدون
Edler	إدلر
Arthur Schopenhauer	أرثور شوبنهاور
Aristote	ارسطو
Platon	أفلاطون
Auguste comte	أوغست كونت
Einstein	أينشتاين
Parménide	بارمينيدس
Protagoras	بروتاغوراس
Bacon	بيكون
Giordano Bruno	جيوردانو برونو
Spencer	سبنسر
Socrate	سقراط

Sigmund Freud	سيغموند فرويد
Karl Popper	كارل پوپر
Karl Marx	كارل ماركس
Kant	كانط
Copernicenne	كوپرنيكوس
Michael Angel	مايكل انجلو
Neauton	نيوتن
Herder	هردر
Henry Maru	هنري مارو
Hegel	هيجل
Hillary Batnam	هيلاري باتنام

الفهرس

شكر و تقدير

إهداء

المقدمة..... أ- ج

الفصل الاول : من التاريخ إلى التاريخانية..... 24-2

المبحث الأول: التاريخ - فلسفة التاريخ - التاريخ..... 10-2

المبحث الثاني: التاريخ وعلم الاجتماع..... 17-11

المبحث الثالث: التاريخانية عند كارل بوبر..... 24-18

الفصل الثاني :فلسفة كارل بوبر..... 40-25

المبحث الاول : المنهج العلمي عند كارل بوبر..... 33-26

المبحث الثاني : الوضعية المنطقية و موقف كارل بوبر منها..... 36-34

المبحث الثالث: العقلانية والتطور المعرفي..... 40-37

الفصل الثالث : الدراسات النقدية عند كارل بوبر

المبحث الأول: العلوم التاريخية والنظرية التاريخية..... 45-42

المبحث الثاني: أتر المنهج البوبري في الفكر الفلسفي

المبحث الثالث : المسؤولية و المستقبل.....

الخاتمة

قائمة المصادر و المراجع